الاشتراك السنوي
١٨ ريالا للأفراد، ٢٥ ريالا للهيئات
الرسمية والشركات عدا نفقة البريد
الإعلانات: يتفق بشأنها مع الإدارة
ثمن الجزء: ريالان عربيان

العرب

مجلة شهرية جامعة

صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

العنوان: مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف: ٢٣٩١٥
الرياض: المملكة العربية السعودية

الجزء الاول - السنة الخامسة - رجب ١٣٩٠ - أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠

"الرَّسُّ" في القُرآن الكَريم وآراء الباحثين حوله

ورد ذكر الرس في القرآن الكريم : ١ - ﴿ وعاداً وثمودا وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيرا ﴾ - سورة الفرقان ، الآية : ٣٨ -

٢ - ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح ، وأصحاب الرس، وثمود ﴾ - سورة قٓ الآية : ١٣ -

وقد سار المفسرون والمؤرخون في سبيل إيضاح مدلول كلمة (الرس) في بيداء خفية الصُّوى ، مجهولة المعالم ، يصدق عليها قول الطيب المتنبي :

يتلون الخِرِّيتُ من خوف التوى فيهـا كما تَتَلوَّنُ الحِرباء

وسبب ذلك : ١ - ان الرس كلمة يقصد بهـا معاني كثيرة ، منها : ١ - البئر . ٢ - والبئر القليلة الماء . ٣ - والبئر التي لم تطو بالحجارة أو غيرها . ٤ - والمعدن . ٥ - وإصلاح ما بين القوم. ٦ - والرَّسُّ : الدَّسُّ: رسوه في بئر أي دسُّوه فيها، وعلى هذا نشأ كثير من اختلافهم. الأمر الثاني: أن الرس لم يوضح مدلول الكلمة منه في القرآن الكريم، ذلك أن القرآن يعني من الخبر بموقع العبرة ، وبما تؤخذ منه الحكمة والتجربة ، والاقتداء بالعمل الصالح ، فالقرآن ليس كتاب تاريخ أو تحديد مواضع ، ولكنه كتاب هداية عام ، ولم يرد نصٌّ صحيح عن الرسول ﷺ في تحديد موقع الرس ، ولذلك

وقع من المفسرين والمؤرخين قديمهم وحديثهم اضطراب كبير ، واختلاف واسع حول مدلول هذه الكلمة ، ولا يعنيني في هذه الكلمة سوى أمرين : أحدهما : عرض المشهور من أقوالهم ، وثانيهما : ذكر المواضع التي تسمى باسم الرس وهذا مما قد يفيد الباحث .

يختلف المتقدمون في كلمة الرس هل يقصد بها قرية بعينها أو موضع بعينه أو يقصد بها بئر ، وعلى هذا فقد نشأ رأيان أحدهما يرى أن الكلمة تطلق على موضع بعينه .

١ – فمنهم من يرى أن المقصود قرية من قرى اليمامة تسمى الرس وتسمى الفلج – بفتح اللام – وأقدم من عرف عنه هذا الرأي قتادة التابعي الجليل ، وفي بعض الكتب ينسب إلى ابن عباس الصحابي الجليل ، مع أن لقتادة قولاً آخر ستأتي الإشارة إليه .

٢ – ويرى آخرون بأن المقصود من كلمة الرس المعدن وممن ذهب إلى هذا القول أبو عبيدة معمر بن المثنى ، العالم اللغوي المعروف ، وابن قتيبة ، صاحب التآليف المشهورة .

وذهب آخرون إلى أن المقصود بكلمة الرس البئر، وينسب هذا القول إلى ابن عباس رضي الله عنه ويرى آخرون أن المقصود بئر دون اليمامة، وهو رأي ابن الكلبي ، ويرى فريق ثالث أن المقصود بئر باذربيجان ، وينسب هذا القول لابن عباس أيضاً ، وفريق ثالث يرى ان البئر المقصودة تقع في مدينة انطاكية ، التي لا تزال معروفة تابعة للبلاد التركية في إقليم الاسكندرونة ، وينسب هذا الرأي لكعب الأحبار ، ومقاتل بن حيّان ، وهما تابعيان ، كما ينسب للسُّدّي الذي عرف بِنَقْل كثير من الأخبار الغريبة والخرافية .

ويأتي أناس آخرون من المفسرين فيرون أن كلمة الرس يقصد بها الأخدود ، ويطبقون ذلك على موقع الأخدود في نجران في جنوب الجزيرة ، ويؤيد هذا الرأي العلامة ابن جرير في تفسيره ، ويقول آخرون بأن المقصود أرض واسعة في جنوب الجزيرة بين نجران إلى اليمن إلى حضرموت، ويذهب

فريق ثالث إلى أن الرس موضع في جنوب الجزيرة بدون تحديد ، وفريق رابع يراه في شمالها في بلاد بني أسد .

ثم يختلف المتقدمون في النبي الذي أرسل إلى أهل الرس ، فيراه بعضهم حنظلة بن صفوان ، ومن أقدم من ذكر ذلك سعيد بن جبير التابعي الجليل ، ويرى وهب بن منبه الذي نقل لنا كثيراً من أخبار أهل الكتاب أن النبي هو شعيب ، وأن أهل الرس قوم أصيبوا بالخسف ، فانهارت بئرهم وخسف بهم ، وفريق رابع يرى أن ذلك النبي هو حبيب النجار من أهل انطاكية المتقدم ذكرها ، وان قومه قتلوه في بئر ، وينسب هذا القول لكعب الأحبار ومقاتل بن حيان والسدي[1] .

هذا ملخص ما ورد عن المتقدمين في تحديد موقع الرس وفي ذكر من أرسل إليهم ، وهذان أمران لا يستطاع البت فيهما بدون الرجوع إلى نصوص واضحة صريحة ،ويعتبر هذا الأمر مما يصعب على الباحثين الوصول إليه.

ويحسن الرجوع إلى ما ورد في الشعر القديم وهو من أهم المصادر التاريخية في تحديد المواضع ، مع ان كلمة الرس تعتبر شاملة وواسعة، بحيث ان بعض الشعراء أطلقها وقصد من إطلاقه المعنى اللغوي ، إلا أن ذلك لا يمنع من الاستئناس بأقوال أولئك الشعراء .

فمما ورد من أقوالهم قول الشنفرَى [2] :

أمَشّي بأطراف الحماط وتارة ... تنفض رجلي مسبطيّاً معصفرا
وأبغي بني صَعْب بجرٍّ ديارهم ... وسوف ألاقيهم إنِ اللهُ يَسّرا
ويوم ٍ بذات الرّس، أو بطن منْجَل ... هنالك تبغي العاصر المتنورا

وقول عامر بن عمرو الحصيني ثم المكاري :

وأقفرت العبلاء والرس منهم ... وأوحش منهم يثقُب فقُراقر[3]

---

(١) أنظر زاد المسير لابن الجوزي ج٦ ص٩٠ والبحر المحيط لابي حيان ج٦ ص ٤٩٩ .
(٢) « معجم البلدان » – منجل.
(٣) نفس المصدر – ملحوب –

وقول زهير بن أبي سلمى[1] :

لمن طلل كالوحي عافٍ منازله ؟ عفا الرس منه ، فالرسَيْس فعاقله

وقوله :

بكرن بكوراً ، واستحرن بسحرة فهن ووادي الرس كاليد للفم

وهناك شعراء كثيرون ذكروا الرس ذكراً لا يخرج عن المواضع التي ذكرها الشعراء الثلاثة ، وهي فيما يظهر من أقوالهم في جنوب الجزيرة كما في قول الشنفرى ، وفي وسطها كما في قول زهير ، وفي شمالها كما في قول عامر بن عمرو ، الذي قرنه بقراقر .

بقي ذكر المواضع التي يطلق عليها اسم الرس في الجزيرة وفي غيرها :

١ – يطلق اسم الرس على البلاد المعروفة الآن باسم الافلاج ، الواقعة في جنوب الجزيرة وهي إقليم واسع يحوي عدداً من القرى والأودية وكان في الماضي مشهوراً بخصبه وعمرانه ، وقد أورد الهمداني في كتاب « صفة جزيرة العرب» فصلاً وافياً عن تحديد مواضعه ، وعن الآثار العمرانية القديمة فيه وكان مما قال :(سوق الفلج الذي تسوقه نزار واليمن وهو لبني سمرة من جعدة ثم على أثرها من سيحي جعدة حصن يقال له مُرغم ، أي يرغم العدو بامتناعه دونه ، وهو لبني أبي سمرة ، والقصر العادي بالأثل من عهد طسم وجديس ، وصفته أن بانيه بنى حصناً من طين ثلاثين ذراعاً دكا ، ثم بنى عليه الحصن ، وحوله منازل الحاشية للرئيس الذي يكون فيه ، والأثل والنخل ، وساكنه اليوم بنو أبي شمسة ، وسوق الفلج عليها أبواب الحديد ، وسمك سورها ثلاثون ذراعاً ، ومحيط به الخندق وهو منطق بالفضاض والحجارة والشاروق ، قامة وبسطة ، فرقاً أن يحصر أو يرسل العدو السيوح عليه ، وفي جوف السوق مائتان وستون بئراً ماؤها عذب فرات ، يشاكل ماء السماء ولا يغيض ، وأربعمائة حانوت ، ولبني جعدة سيحان يقال لأحدهما الرقادي وللآخر الأطلس ، وأما سيح قشير فاسمه سيح إسحاق ، فأما الرقادي

---

(١) « معجم البلدان » – الرس – .

فان مخرجه من عين ابن اصمع ، ومن عين يقـــال لها الزباء مختلطتين ، وأما الأطلس فان مخرجها من عين الناقة ويقول أهل الفلج في اشتقاق هذا الاسم : إن امرأة مرت بها على ناقة لها فتقحمت بها الناقة في جوف العين فخرج بَعْدُ سوارُها بنهر مُحَلِّم بهجر البحرين)[1] .

وينسب إلى ابن عباس وسعيد بن جبير وهشام بن محمد الكلبي القول بأن أهل الرس من أهل فلج الأفلاج وكان هذا الرأي معروفاً إلى منتصف القرن الخامس الهجري، كما أشار إلى ذلك ناصر خسرو في « سفر نامة » .

٢ – الرس قرية ذات نخيل وعيون في العهد القديم ، وقد غارت مياهها ومحلت ارضها ، وأصبحت ذات سباخ ، وهذه القرية لا تزال آثارها موجودة في مداين صالح ، حسبما ذكر الاستاد عبد الحميد مرداد [2] . وتحسن الإشارة إلى أن بعض المفسرين ذكر ان أصحاب الرس هم بقية ممن آمن بصالح ولكنهم كفروا وعوقبوا بعد ذلك [3].

٣ – هناك من يرى بأن أصحاب الرس كانوا من أهل بلاد مدين ، وأول من رأيته قال هذا القول هو الشيخ عبد الله فلبي ، فقد ذكر في كتابـــه «أرض مدين» موضعاً دعاه الرس – بالسين بخلاف ما ينطقه أهل تلك الجهـة فهم يقولون الرص ، بالصاد – وقال : (ولم يستطع أحـد التعرف على الرسّ والأيكة ، وان كان يبدو أنهما يجب أن يكونا في المنـاطق المجاورة لمدين . ولعله يبدو من التسرع القول بأنني قد وصلت إلى خرائب الأولى ، ولكنني لم أعرف مكاناً آخر يدعى الرس في شبه الجزيرة العربية غير هذا الموقع، ومكان آخر في القصيم ، والثاني يُشك في أنه المذكور في القرآن الكريم. والأيكة وادٍ يتفرع من وادي عفال ، الذي ينحدر من جبل اللوز الكبير . وقد قيل إن الرس تقع على مرتفع يطل على الضفة اليمنى لوادي الأبيض ، من نقطـة

---

(١) صفة جزيرة العرب ص ١٦٠ .
(٢) « مدائن صالح » ص ١٧١ .
(٣) تاريخ ابن خلدون

يلتقي فيها هذا الوادي برافد ينحـــدر من الجهة الشمالية الغربية ، يدعى شعيب الوُسَيْطَى ، ومن الممكن أن هذا الموقع كان مزاراً يؤمه الناس قبل الاسلام ، وأشار موسيل إلى هذا المكان في خريطته غير أنه لم يزره ، وأكاد أجزم بأن هذا المكان لم يزره أوربي قبلي[١] . انتهى كلامه باختصار .

٤ – وهناك موضع في غرب القصيم يطلق عليه اسم الرس ، وهو الذي ورد في شعر زهير المتقدم . وأول من رأيته نسب أهل الرس إليه ما نقله أبو حيان التوحيدي عن من تقدمه في تفسيره «البحر[٢]» والقرطبي في تفسيره[٣] ومن بعده من المتأخرين الأستاذ فؤاد حمزة في كتابه «قلب جزيرة العرب»[٤] ثم الاستاذ محمد حسين زيدان [٥] وإن لم يصرح بذلك ، غير ان القول بأن أهل الرس من هـذا الموقع الذي لا يزال معروفاً في القصيم قائم على أساس مجرد التسمية وليس هناك ما يدل على صحة القول به ، لأن عمران هذا المكان كان حديثاً بخلاف الافلاج وغيره من الأمكنة .

٥ – وموضع خامس يطلق عليه الرَّس ، ولكن لم يرد عن المتقدمين ما يدل على أنه هو المقصود بأصحاب الرس ، ذلـــك الرس من أودية القبليَّة ، والقبلية على ما نقل الزمخشري عن شيخه الشريف عُلَـيّ بن وهاس الحسني المكي : سراة فيما بين المدينة وينبع ، فما سال منها إلى ينبع يسمى الغور ، وما سال في أودية المدينة يسمى بالقَبَلِيَّة ، وحَدُّها من الشام مـــا بين الحت من جبال بني عرك من جهينة ، وما بين شرف السيالة ـ والسيالة أرض يطؤها طريق الحاج – فأودية القبلية : الشــاجة ، وحزرة ، ومثعر ، والرس ، وحورة ، وحراضان ، وظلم ، وملحتان ، وبواط ، ومنكثة ، ورسوس ، والعشيرة ، والبلياء (البلدة؟) وتَيْتَد – وهو المعروف بأذينة – وفيه عرض

---

(١) The land of midian ص ٢٨٥ الترجمة العربية و 206 النص الانجليزي .

(٢) ج ٦ ص (٤٩٩)

(٣) ج ١٣ س ٣٣

(٤) ص ٢٢٤ الطبعة الأولى

(٥) جريدة عكاظ ، تاريخ : صفر ١٣٩٠

فيه النخل من صدقة رسول الله ﷺ نحلها فاطمة (ض) وشمَيْسيَ ، والناصفة[1] ثم ذكر جبال القبلية .

وإلى هذا الموضع ينسب الإمام الهادي جد الأئمة الزيديين المعروفين في اليمن إلى عهدنا الحاضر ، وبهذه المناسبة أذكر أنني ضمني مجلس من بين من فيه عبد الله بن الوزير أثناء عقد المعاهدة اليمنية السعودية في الطائف فتحدث قائلاً : نحن منكم يا أهل نجد من بلاد الرس . فقلت : أنتم من الرس القريبة من المدينة ولستم من رس القصيم ، ومع هذا فأنتم إخواننا في النسب والدين ، فطلب مني إيضاحاً لتحديد هذا الموقع فأوضحته له .

٦ — وذهب كثير من المتقـدمين إلى أن الرس المذكور في القرآن الكريم من بلاد اليمن ، وها هي الأقوال الواردة في ذلك نسوقها بالتتابع حسبما ورد من أقوال المتقدمين .

١ — قال محمد بن هشام بن السائب الكلبي : وأما الحارث — بن قحطان — فولد (قينا) يقال لهم الاقيون، وهم رهط حنظلة بن صفوان نبي أهل الرّسّ ، والرس فيما بين نجران واليمن من حضرموت إلى اليمامة ، وكانوا يسكنون الرس[2] .

٢ — وقال ابن هشام صاحب « السيرة » قال أبو محمد : لما بلغ سليمان إلى عجز الأحقاف أمر الريح فأمسكت ، ثم قال — وأشار بيده — : هناك ولي الله حنظلة بن صفوان صدق وكذّبوه ، فنجا وهلكوا ، وإلى الله المصير .

— ثم أورد قصة طويلة جاء فيها — : فدخلنا وهدة من الأرض فأصبنا على على بابها حجراً مطبقاً فاعتورنا قلعه ، فقلعناه ، فإذا رجل عليه جبة صوف ، في يده خاتم عليه مكتوب : أنا حنظلة بن صفوان نبي أهل الرس ، رسول الله — وعند رأسه صحيفة نحاس مكتوب فيها : بعثني الله إلى عريب وهمدان والعرب

(١) : « الجبال والأمكنة والمياه » .
(٢) « النسب الكبير » الورقة ٨٦ نسخة دير الارسكوريال في اسبانية .

من اليمن بشيراً ونذيراً ، فكذبوني وقتلوني . فأعادوا عليه الحجر كما كان ، والصخرة في مكانها كما كانت [١] .

وقال أبو محمد الهمداني مؤلف « صفة جزيرة العرب » : وأما الحارث – بن قحطان – فولد قَيْناً ، بطن يقال لهم الاقيون ، دخلوا في حمير ، وهم رهط حنظلة بن صفوان ، ووجد في قبره لوح مكتوب فيه : أنا حنظلة بن صفوان ، أنا رسول الله بعثني إلى حِمْيَر وهمدان ، والعريب من أهل اليمن فكذبوني وقتلوني) .فمن يقول بهذا الخبر يرى أنه إلى سبأ بمأرب، فلما كذبوه أرسل الله عليهم سيل العرم . قال ابن هشام:هو حنظلة بن صفوان من الاقيون نبي الرس ، والرس بناحية صيهد ، وهي بلدة منحرفة ما بين بيحان ، فمأرب، فالجوف، فنجران ، فالعقيق ، فالدهناء، فراجعاً الى عبر حضرموت.

وذهب في صيهد بعهدنا – ٣٤٠ تقريباً – قطار فيه سبعون محملاً من حاج الحضارم، صادرين من نجران،لحق هذا القطار في أعقاب الناس ، ولم يكن فيهم دليل فساروا ليلة وأصبحوا قد تياسروا عن الطريق ، وتمادى بهم الجور، حتى انقطعوا في الدهناء فلم يُدْرَ ما خبرهم ، لأن أحداً لا يدخل ذلك المكان ، ولو دخله لم يظفر بموضعهم لسعة ذلك المكان الخرق ، وهي فلاة صداد (؟) فيها بقايا قصور هذه الأمة، فيما يصلى العمران من جانبها الغربي يُعَدّنها الناس في زماننا هذا ، فيجدون فيها الذهب وما قد أسرع إليه أكل التراب من الفضة [٢] .

وقال الهمداني:ويقال:بل كان أهل الرس قبائل من نسل من سمينا من قحطان، وهم أسلم ، ويامن ، وابو زرع ، ورعويل، وقدمان، فبعث الله اليهم حنظلة بن صفوان بن الاقيون – كذا رواه النساب مثل الاملوك والاصنوع والاخضوض وإنما هذا اسم كأنه جمّاع قبيلة – فكذبوه فقتلوه وطرحوه في بئر رسّ ماؤها

---

(١) « التيجان » لابن هشام ص ١٦٣ ، ١٦٤

(٢) : « من الاكليل » ١ / ١٢١ والمخطوطة الورقة الـ ٢٣ .

فأهلكهم الله كما قال (وأصحاب الرسّ ، وقروناً بين ذلك كثيرا) فقال رجل من قحطان يرثيهم :

بكتْ عيني لأهل الرّسِ ، رَعْوِيْلِ وقِدْمانِ
واسلم وابي زرع نُضَار الحيّ قحطان (١)

٤ — وقال ابن حزم في كتابه : « جمهرة النسب » : فولد الحارث — بن قحطان — فهم ، يقال لهم الأقيون وهم رهط حنظلة ابن صفوان ، نبيُّ الرّسّ ، والرسُّ ما بين نجران إلى اليمن ، ومن حضرموت إلى اليمامة(٢). وأورد نحو هذا القول البلبيسي في رسم (الرسي) وقبله الصحاري في «الأنساب» وقبلهم ابن الكلبي في «النسب الكبير» كما تقدم ص٧.

٥ — وقال نشوان بن سعيد الحميري اليمني : الرّسُّ في قوله تعالى : (وأصحاب الرس) بئرٌ بمأرب . قال مجاهد : رَسُّوا نبيَّهمُ فيها . وقال كعب الأحبار : هم أصحاب الأخدود ، والرّسُّ الأخدود . والرس اسم ماء (٣) .

وقال ابن كثير : وبعث إلى العرب شعيب صاحب مدين ، وحنظلة بن صفوان ، فكذبوهما فسلط الله على العرب بخت نصر ، فنال منهم من القتل والسبي نحو ما نال من بني اسرائيل ، وذلك في زمن معدّ بن عدنان (٤) .

- وقال ابن خلدون في « تاريخه » :

١ — واما حضورا فكانت ديارهم بالرس ، وبعث اليهم نبي منهم اسمه شعيب بن ذي مهرع ، فكذبوه فهلكوا) (٥) .

---

(١) : « الاكليل » : ١ / ١٢٢ / ١٢٤ .
(٢) « جمهرة النسب » لابن حزم — ٣٢٩ — الطبعة الثانية — .
(٣) : نشوان بن سعيد الحميري « منتخبات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم » ص- ٤١
(٤) : « البداية والنهاية » ٢ / ٢١٢ .
(٥) : « العبر » لابن خلدون ٢ ص ٥٣ / ٨٧ .

٧ – وقال : فولد فيما يقال له لا سور (؟) وهم رهط حنظلة بن صفوان نبيُّ الرّس ، والرس ما بين نجران إلى اليمن ، ومن حضرموت إلى اليمامة .

٨ – وذهب آخرون إلى أن أصحاب الرس من بني إسرائيل، فقد ذكر ابن جرير في تاريخه ما نصه : وأما غير هشام من أهل العلم بأخبار الماضين فإنه يذكر أن معد بن عدنان لما ولد ابتدأت بنو إسرائيل بأنبيائهم فقتلوهم ، فكان آخر من قتل يحيى بن زكريا ، عدا أهل الرس على نبيهم فقتلوه، فلما اجترأوا على أنبياء الله أذن الله في فناء ذلك القرن الذين معد بن عدنان من أنبيائهم ، فبعث الله بخت نصر على بني إسرائيل، فلما فرغ من إخراب المسجد – سار إلى بلاد العرب – فالتقى عدنان وبخت نصر بذات عرق ، وسار في بلاد العرب حتى قدم حضور ...[1] وبقيت بلاد العرب خرابا .

٩ – ويرى غير من تقدم ذكرهم أن أصحاب الرس من بلاد العجم ، فقد فقد ذكر ياقوت في كتابه ما نصه : وقال آخرون في قول الله عز وجل : (وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيراً) الرّسَ : وادي أذربيجان وحدُّ أذربيجان ما وراء الرس ، ويقال بأنه كان بأرّان على الرس ألف مدينة ، فبعث الله إليهم نبياً يقال له موسى ، وليس بموسى بن عمران ، فدعاهم إلى الله ، والإيمان به فكذّبوه وجحدوه، وعصوا أمره فدعا عليهم ، فحول الله الحارث والحويرث من الطائف ، فأرسلها عليهم ، فقال أهل الرس تحت هذين الجبلين ومخرج الرس من قاليقلاء ، ويَمُرُ بأرّان ، ثم يمر بورثان ، ثم يمر بالمجمع ، فيجتمع هو والكر وبينهما مدينة البيلقان ، ويمر الكرُّ والرس جميعاً فيصبان في بحر جرجان ، والرس هذا وادٍ عجيب فيه من السمك أصناف كثيرة [2] .

وروى ابن الفقيه أنه كان على نهر الرس بأرمينية ألف مدينة ، فبعث الله اليهم نبياً يقال له موسى وليس بموسى بن عمران، فدعاهم إلى الله والإيمان به فكذبوه وجحدوه ، وعصو أمره، فدعا عليهم، فحول الحارث والحويرث

---

(١) : تاريخ ابن جرير » ١ ص ٦٧٢ ، ٦٧٤ (باختصار) .
(٢) « معجم البلدان » – الرس –

- وهما جبلان - من الطائف ، فأرسلهما عليهم ، فيقال ان أهل الرس تحت هذين الجبلين [١] وقال أبو دلف مسعر بن المهلهل الخزرجي الينبعي : وإلى جانبه - البذ - نهر الرس ، وعليه رمان عجيب ، لم أر في بلد من البلدان مثله ، وبها تين عجيب ... ونهر الرس يخرج إلى صحراء البلاسجان ، وهي إلى شاطىء البحر ، وفي الطول من برزند الى بردعة،وفي هذه الصحراء خمسة آلاف قرية أو أكثر خراب ، إلا أن حيطانها وأبنيتها قائمة ، لم تتغير لجودة التربة ، ويقال أن تلك القرى كانت لاصحاب الرس ، الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن [٢].

وقال ابن الأثير عن الملك قباذ بن فيروز بن يزدجرد - عندما ذكر فتوحاته - : فوطىء بلاد الرّان ، وفتح ما بين النهر المعروف بالرس إلى شروان [٣] .

وقال المسعودي المؤرخ المعروف : ١ - نهر الكُرَ : يجتمع بنهر الرس الذي هو نهر ورْثان ، فيصبان جميعاً فيه [٤].

ويتلخص من الأقوال المتقدمة :

١ - ان أكثر المؤرخين والمفسرين يرون أن الرس في بلاد العرب ، ولكنهم يختلفون في تحديد موقعه ، فاليمنيون من الباحثين يرونه في بلاد اليمن ، ومن أقدم من يرى هذا الرأي ابن الكلبي ، ثم هم يختلفون في أي موقع هل هو في بلاد الاقيون أو في الأخدود أو في مأرب بل ويمتد من حضرموت إلى اليمامة كما في قول ابن الكلبي في «النسب الكبير» .

٢ - بينما يذهب آخرون إلى أنه في بلاد الافلاج في جنوب نجد ، وهي بلاد عريقة الحضارة ، مجهولة التاريخ ، والآثار الباقية فيها تدل على قدمها .

٣ - وهناك من يرى ان الرس في شمال الحجاز ، في العلا أو في أرض مدين ، كما تقدم النقل عن الأستاذ محمد عبد الحميد مرداد ، ويؤيده ما نقل

---

(١) « معجم البلدان » مادة الحارث .

(٢) : « رسالة مسعر » ص ٦ ، ٧ و « معجم البلدان » - البذ - الرس - .

(٣) : « الكامل لابن الأثير ١ ، ١٤ : - طبعة بيروت .

(٤) : « التنبيه والإشراف » - ٦٢ .

القرطبي : الرس اسم بئر لبقية ثمود[1] والشيخ عبدالله فلبي ، مع ان هذا الأخير يوجد ما يؤيد قوله من آراء المتقدمين من أن نبي أهل الرس هو شعيب، ومدين هي بلاد شعيب،وهناك نصٌ أصرح من هذا وهو ما أورده القرطبي في تفسيره[1] عن قتادة قال : أصحاب الرس وأصحاب الأيكة أمّتَانِ أرسل الله إليهما شعيبا فكذبوه ، فعذبهما الله بعذابين . اهـ . والرس – على ما يرى فلبي – مجاور للأيكة ، قريب أحدهما من الآخر .

٤ – أما القول بأنه الرس المعروف الآن في القصيم ، فهو قول بعيد عن الصواب ، ذلك ان هذا الرس لم يعمر إلا حديثاً ، وإن كان معروفاً لدى الشعراء المتقدمين ، ولم يبرز فيه من الآثار ما يدل على سكناه في القديم .

٥ – والقول بأنه في بلاد العجم ، فلعله ناشىء من وجود موضع هناك باسم الرس ، غير ان المعروف ان الأسماء العربية في تلك البلاد الاعجمية ما نشأت إلا بعد انتقال العرب إليها بعد ظهور الاسلام ، وقد يكون للعصبية من الأثر في ذلك ما حمل بعض المتقدمين إلى القول بأن الرس هناك .

٦ – ويماثل هذا القول في الضعف ما روي من أن نبي أهل الرس هو حبيب النجار من أهل انطاكية ، وقد كفانا مؤونة ابطال هذا الرأي الحافظ ابن كثير في تاريخه .

وبعد: فكل ما تقدم لا يعدو عرضاً موجزاً لأقوال القدماء ، ومن خطل الرأي الحكم بأن الموضع الفلاني هو المعين بالنص القرآني الكريم ، ما لم يرد نص صريح صحيح عن المصطفى ﷺ ولو ورد ذلك لكان القول الفصل . وقد لا يعدم القارىء فائدة من عرض ما تقدم من الأقوال حول قدم تلك المواضع وما قد يكون حافزاً لمواصلة البحث ، ومن يدري ؟ فقد تكشف لنا الآثار في المستقبل ما نجهله الآن .



(١) « الجامع لأحكام القرآن » ١٣ / ٣٣ .

بلاد العرب في بعض مؤلفات علماء الأندلس والمغرب

- ٧ -

[ويمضي الادريسي في كتابه « نزهة المشتاق » في الحديث فيقول] :

الطــــائف[١] :

وفي شرقي مكة : الطائف ، وبينهما ستون ميلا ، ومن ارادها من مكة سار منها إلى بئر إبن المرتفع ، وهي قرية عامرة ، فيها عرب بادية ، ثم إلى قرن المنازل ، وهو سوق عامرة ، وهو حصن عامر بأهله ، على قارعـــة الطريق ، ومنه إلى الطائف .

ومن أراد من مكة إلى الطائف على طريق العقيق: يأتي عرفات على ثلاثة أميال ، ثم إلى بطن نعمان ، وهو موضع فيه نخيلات ، ثم يصعد عقبة كرا ، ثم يشرف على الطائف ،والطائف منازل ثقيف، وهي مدينة صغيرة متحضرة ، مياهها عذبة ، وهواؤها معتدل ، وفواكهها كثيرة ، وضياعها متصلة ، وبها العنب كثير جداً ، وزبيبها معروف ، يتجهز به إلى جميع الجهات ، وأكثر فواكه مكة تصدر عنها ، وبالطائف تجــار مياسير ، وجُلُّ بضائعهم صنع الأديم ، وأديمها عالي الجودة ، رفيع القيمة، وبالنّعل الطائفي يضرب المثل ، وهذا مشهور ، والطائف على ظهر جبل غزوان ، وعلى ظهر جبل غزوان ديار بني سعد ، المضروب بهم المثل في الكثرة[٢]. وبه جملة من قبائل هذيل ، وليس في بلاد الحجاز بأسرها جبل أبرد من رأس هذا الجبل ، وربمــا جمد به الماء في الصيف لشدة برده .

---

(١) العناوين من وضع المجلة .

(٢) لعله يقصد المثل : (في كل واد بنو سَعْد) ولكن هذا لا ينطبق على هؤلاء «العرب» .

سكان مكة :

والغالب على نواحي مكة مما يلي الشرق بنو هلال وبنو سعد في قبائل من هذيل ، ومن غربها قبيلة مدلج ، وغيرها من قبائل مضر .

مخاليف مكة :

وبمكة مخاليف، وهي الحصون ، فمنها بنجد : الطائف ، ونجران، وقرن المنازل ، والعقيق ، وعكاظ ، ولية ، وتربة ، وبيشة ، وكتنة ، وجرش ، والسراة .

ومن حصونها بتهامة : ضنكان ، والسرين ، والشعيبة ، وعشم ، وبيش ، وعك .

مخاليف المدينة :

ومن مخاليف المدينة المنسوبة إليها : تيماء ، ودومة الجندل ، والفرع ، وذو المروة ، ووادي القرى ، ومدين ، وخيبر ، وقرى عربية ، والوحيدة، والسيارة ، والرحبة ، والسيالة ، وسبابة ، وواسط ، وغراب ، والأكحل ، والحمية .

الطرق إلى مكة ومنها :

والطريق من مكة إلى صنعاء : تخرج من مكة إلى صنعاء ، إلى بئر ابن المرتفع ، وفيه بئر ، ثم إلى قرن المنازل ، وهي قرية كبيرة ، ثم إلى ضفن ، وهي قرية صغيرة ، وبضفن بئران ماؤهما غدق ، عذب ، يشرب منهما ، ثم إلى كرا وهي قرية عامرة ، كثيرة النخل ، وبها عيون مطّردة ، ثم إلى رنية ، وهي قرية كبيرة ، فيها نخل كثير وعيون جارية ، ثم إلى مدينة تبالة ، وبها عيون كثيرة ، ونخل ومزارع، وهي صغيرة ، في منخفض أكمة، ثم إلى بيشة بعطان ، وهي مدينة صغيرة متحضرة ، جيدة المساكن ، حسنة البقعة ، فيها ماء ظاهر ، وقليل نخل ، ثم إلى قرية جسداء ، وفيها بئر فيها

ماء قليل، ثم إلى بنات حرب، وهي قرية عظيمة، بها بشر كثير، ونخل كثير، وبها عين ماء عذبة ، ثم إلى سنخة ، وهي منزل أخلاط عامر؛ ثم إلى كتنة ؛ وهي قرية عظيمة ؛ فيها عيون وكروم ؛ ونخل باسق ؛ وبقول ؛ ثم إلى النجم ؛ وهي قرية عامرة ؛ فيها بئر ، ومنها إلى سروم راح ؛ وهي قرية كبيرة فيها سكان ؛ وعمارتها متوسطة ؛ وفيها عيون كثيرة ؛ وكروم ؛ ومدينة جرش ؛ منها على ثلاثة أميال ؛ وجرش ونجران متقاربتان بالكبر ؛ وبهما نخل كثير ؛ وبها مدابغ الجلود ؛ وهي بضائعهم ؛ وبها تجاراتهم ؛ وأهلها مشهورون بذلك .

ومن سروم إلى المهجرة ، وهي قرية عظيمة ، فيها عيون وفيها بئر بعيدة القعر ، غزيرة الماء ؛ وبهذه القرية شجرة عظيمة ، تسمى طلحة الملك ، تشبه شجر الخلاف ، غير أنها أعظم منها ، وهي حدّ ما بين عمل مكة واليمن .

ومنها إلى عرفة ، وهي قرية حسنة ، ثم إلى صعدة، وهي مدينة صغيرة، لكنها متحضرة ، وبها دور الدباغة يدبغ بها الأديم الجيد ، ويتجهز به إلى كثير من الأماكن من اليمن والحجاز ومنها إلى صنعاء، مئة وثمانون ميلاً، ومنها إلى الأعمشية، وهو منزل به عين صغيرة، ولاساكن بها ثم إلى مدينة خيوان، وهي حصن منيع، وفيها بركتان للماء وأهلها أخلاط من العمريين، وفيها كروم، تحمل عنباً كبير الحب جداً، ويصنع منه زبيب طيب الذوق جليل المقدار ويحمل إلى البلاد المجاورة لها، والبعيدة منها.

ومنها إلى صنعاء إثنان وسبعون ميلا ، وكذلك من خيوان إلى صنعاء ثمانية وأربعون ميلا ، وبخيران قرى وعمارات ، ومزارع ومياه ، معمورة بأهلها ؛ وبها أصناف من بطون غسان ، وجمل من قبائل العرب .

ويقرب من خيوان ، بلاد الإباضية ، وبلادهم عامرة ، وحصونهم مانعة ، وزراعاتهم كثيرة ، وعماراتهم متصلة .

ومنها إلى أثافت ، وهي مدينة ، فيها كروم كثيرة ، وقليل نخل ، ويشرب أهلها من بركة كبيرة ، فيها ينابيع ماء .

ومنها إلى الربوة ، وهي مدينة صغيرة كالحصن ، حفت بها كروم كثيرة وزروع متصلة ، وعيون دفاقة ، ولأهلهـا مواش وجمال ، وفي الربوة البير المعطلة والقصر المشيد الذي ذكر في الكتب .

ومنها إلى صنعاء مرحلة ، وقد ذكرنا مدينة صنعاء في ما تقدم من ذكر موضعها من الأقاويل في الإقليم الأول ، وهذا الطريق الذي ذكرناه ، تأخذه القوافل في عشرين مرحلة .

والطريق من مكة إلى ذي السحيم من خولان . تخرج من مكة إلى ملكان ، وهو ماء ينزل بـه المسافرون ، ومنه إلى يلملم مرحلة ، وهو جبل معترض من المشرق إلى المغرب ، وبـه ميقات أهل تهامة ، ثم إلى ... مـنزل ، بقربها عين مـاء ، مرحلة ، ومنه إلى منية وهي قرية صغيرة فيها بئران مرحلة ، ومنه إلى دوقة وعليب ، وهما قريتان عامرتان باهلها ، مرحلة ، ومنها إلى الحسبة ، وهي قرية صغيرة فيها ماء كثير مرحلة ، ومنها إلى قنونا ، مرحلة ، وفيها منزل فيه بئر ، مرحلة ، ثم إلى بيشة جازان ، وهو منزل فيه بقايا عرب ، وبه بئر عذبة ، مرحلة ومنهـا إلى مدينة حلي ؛ وهي على الهجر صغيرة ، مرحلة ، وقد ذكرناها في مكانها ومن حلي الساحلية إلى وادي ضنكان الواصل إلى مدينـة ضنكان مرحلة ، ومنه إلى بيشة بعطان التي ذكرناها في طريق صنعاء ، مرحلة ؛ ثم إلى جازان القرين ، وهي قرية صغيرة ، لكنها عامرة ، فيها مياه جارية ونخيلات قليلة .

ومنهـا إلى خولان ذي سحيم ، وهي قلعـة حصينة ، ولأهلها منعة ؛ وفيهم عزة .

وجميع هذه البلاد التي ذكرناها هي في أرض تهامة ؛ وتهامة قطعة من اليمن ؛ وهي جبال مشبكة ؛ أولها من البحر القلزمي ، ومشرفة عليه ؛ وتمر منها قطايع في جهة الشرق .

وحدود تهامة في غربيّها : بحر القلزم ؛ وفي شرقيها : جبال متصلة من

الرسائل المتبادلة

بين المنصور ومحمد ذي النفس الزكية

مقدمة تاريخية :

في النصف الأول من القرن الثاني الهجري - الثامن الميلادي -- حينما بدأ الانحلال السياسي يدب في جسم الدولة الأموية ، أظهر عدد من الشخصيات الهاشمية طموحاً سياسياً ملحوظاً وبدأ كل منهم ينظم حركة معارضة سرية مستقلة ضد الأمويين .

ولم تكن الفكرة الشائعة بين الناس في تلك الفترة أن يكون خليفة رسول الله ﷺ بالضرورة فرداً معيناً بذاته أو فرعاً هاشمياً بعينه ، بل كان من حق كل هاشمي علوياً كان أو عباسياً أو جعفرياً (نسبة إلى جعفر بن أبي

الجنوب إلى الشمال ؛ وطول أرض تهامة ، من السرحة إلى عدن ؛ على الساحل اثنتا عشرة مرحلة ؛ وعرض أرض تهامة اليمن من الجبال إلى عمل غلافقة يطوق مسير أربعة أيام ؛ وفي شرقيها أيضاً ؛ مدينة صعدة؛ وجرش ونجران، وفي شمالها مكة وجدة، وفي جنوبها صنعاء ، على نحو عشر مراحل، وبأرض تهامة صرحاء العرب ، من جميع القبائل .

ومكة قطب ومقصد لأهل جزيرة عربة ، وهي بلاد اليمن ؛ فمن مكة إلى صنعاء عشرون مرحلة ؛ ومن مكة إلى زبيد عشرون مرحلة ؛ ومن مكة إلى اليمامة إحدى وعشرون مرحلة ؛ ومن مكة إلى دمشق ثلاثون مرحلة ؛ ومن مكة إلى البحرين خمس وعشرون مرحلة ؛ وسنأتي بهذه الطرقات المذكورة في أماكنها بعون الله .

(للبحث صلة)

الرسائل المتبادلة

بين المنصور ومحمد ذي النفس الزكية

مقدمة تاريخية :

في النصف الأول من القرن الثاني الهجري – الثامن الميلادي – حينما بدأ الانحلال السياسي يدب في جسم الدولة الأموية ، أظهر عدد من الشخصيات الهاشمية طموحاً سياسياً ملحوظاً وبدأ كل منهم ينظم حركة معارضة سرية مستقلة ضد الأمويين .

ولم تكن الفكرة الشائعة بين الناس في تلك الفترة أن يكون خليفة رسول الله ﷺ بالضرورة فرداً معيناً بذاته أو فرعاً هاشمياً بعينه ، بل كان من حق كل هاشمي علوياً كان أو عباسياً أو جعفرياً (نسبة إلى جعفر بن أبي

الجنوب إلى الشمال ؛ وطول أرض تهامة ، من السرحة إلى عدن ؛ على الساحل اثنتا عشرة مرحلة ؛ وعرض أرض تهامة اليمن من الجبال إلى عمل غلافقة يطوق مسير أربعة أيام ؛ وفي شرقيها أيضاً ؛ مدينة صعدة ؛ وجرش ونجران ، وفي شمالها مكة وجدة ، وفي جنوبها صنعاء ، على نحو عشر مراحل ، وبأرض تهامة صرحاء العرب ، من جميع القبائل .

ومكة قطب ومقصد لأهل جزيرة عربة ، وهي بلاد اليمن ؛ فمن مكة إلى صنعاء عشرون مرحلة ؛ ومن مكة إلى زبيد عشرون مرحلة ؛ ومن مكة إلى اليمامة إحدى وعشرون مرحلة ؛ ومن مكة إلى دمشق ثلاثون مرحلة ؛ ومن مكة إلى البحرين خمس وعشرون مرحلة ؛ وسنأتي بهذه الطرقات المذكورة في أماكنها بعون الله .

(للبحث صلة)

طالب) أن يدّعي الخلافة ويعمل لها باسم (أهـل البيت) ولذلك انقسم شيعة الهاشميين الى كتل : فمنهم من التف حول محمد بن الحنفية العلوي ، ثم نقلوا ولاءهم الي ابنه ابي هاشم عبد الله الذي أسند قيادة حركته من بعده الى محمد بن علي العباسي ، ومنهم من اتبع عبد الله بن معاوية بن جعفر الطالبي ، ومنهم من ناصر زيد بن علي (زين العابدين) ودعوا الى شهر السلاح وقتـال الأمويين ، ومنهم من شايع الإمـام جعفرا الصادق الحسيني (رض) الذي لم يعرف عنه انه دعى الى الثورة ضد الحكم الأموي بـل كانت معارضته سلبية سلمية .

وحين بدأ محمد بن علي بن عبد الله بن العباس دعوته السرية كان حذراً وأسند ادعاءه بالخلافة الى وصية ابي هاشم عبد الله كما كان شعاره الدعوة إلى (الرضا من آل البيت) . واستطاع ابراهيم الإمام [1] الذي خلف أباه محمدا العباسي في قيادة المنظمة السرية (العبـاسية) أن يوجه جهوده الى خراسان حيث القبائل العربية المتذمرة من الادارة الأموية . وقـد تكللت جهوده هذه بالنجاح ، إلا انه قتل من قبل مروان بن محمد قبل وصول الشيعة العباسية إلى العراق واحتلالها الكوفة . وقد بايـع قادة الثورة العباسية أبا العباس عبد الله بن محمد خليفةً للدولة العباسية .

وما أن تسلم العباسيون السلطة حتى بدأوا ينظرون الى العلويين نظرة شك باعتبارهم المنافسين لهم على الخلافـة ومصدر خطر على الدولة الجديدة . أمـا العلويون فقد نظروا الى العباسيين كمغتصبين مبتزين للسلطـة من أصحابها الشرعيين . وهكذا دخل النزاع حول الخلافة مرحلة جديدة حيث أصبح نزاعاً بين الهاشميين أنفسهم : بين العباسيين والعلويين .

على ان العلويين لم يكونوا متّحدين أو متفقين على زعامة واحدة تنظم كفاحهم المسلح وغير المسلح تجاه العباسيين . ثم ان كثرة القيادات العلوية يعني بالتالي ان ولاء الشيعة العلوية في تلك الفترة لم يكن باتجاه واحد واضح نحو فرع علوي معين . وتدل الأحداث التاريخية في القرنين الأول والثاني الهجريين بأن هؤلاء

الأتباع كانوا على العموم يغيّرون ولاءهم من فرع لآخر بكل سهولة وحسب الظروف .

فبعد وفاة زيد بن علي سنة ١٢٢ هـ - ٧٤٠ م وابنه يحيى سنة ١٢٥ هـ - ٧٤٣ لم يبق بين العلويين سوى شخصيتين رئيسيتين هما الامام جعفر الصادق الحسيني وعبدالله بن الحسن (المحض) من الفرع الحسني . وكان الصادق مسالماً لا يؤمن بالعنف وقد اعطى هذا الموقف من الامام الصادق الفرصة لعبدالله بن الحسن المحض ليجمع حوله الشيعة العلوية التي تميل إلى الثورة ضد الأمويين .

والطريف ان طموح عبدالله المحض لم يكن شخصياً فهو لم يطلب الخلافة لنفسه بل إلى ابنه مُحمد ذي النفس الزكية ، حيث اشاع عبدالله المحض الفكرة القائلة بان ابنه محمد هو (المهدي المنتظر) الذي سينقذ الناس من الجو العباسي وكان هذا الادعاء خطوة مهمة في تصاعد الثورة العلوية لأنها جذبت الى محمد ذي النفس الزكية اعداداً متزايدة من الاتباع من بينهم المتطرفين اتباع المغيرة ابن سعيد البجلي وبيان بن سمعان النهدي . وكذلك انضم اليه المتذمرون والضعفاء الذين ربما لم يكن لديهم أي ولاء للعلويين أو تفهم للقضية العلوية ولكنهم أملوا بأن المهدي الجديد سينقذهم من الظلم ويوفر لهم حياةً أفضل(٢) .

وقد حاول الهاشميون أن يوحدوا صفوفهم بتكوين جبهة موحدة تحت قيادة متفق عليها ضد الأمويين فعقدوا اجتماعاً سرياً في الابواء (٣) قرب مكة سنة ١٢٧ هـ ، سنة ٧٤٤ م حينما كانت كل البوادر تتنبأ بتدهور دولة الأمويين بعد مقتل الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ هـ ، سنة ٧٤٣ - ٧٤٤ م حيث زادت الشكوك والتكهنات حول إمكانية صمود الكيان الأموي طويلاً ، وهذا بطبيعة الحال زاد من آمال الهاشميين وطموحهم في الخلافة . وقد دعى عبد الله المحض الحاضرين إلى البيعة لابنه محمد المهدي ولكن المجتمعين انشقوا على انفسهم واختلفوا في الرأي وانفض الاجتماع دون اتخاذ قرار معين . إن القارىء المتمعن في الروايات المتعلقة باجتماع الأبواء يدرك حقيقة بارزة وهي أن الرواة

ذوي الميول المختلفة قد جعلوا من هذا الإجتماع مسرحاً لتلفيقاتهم ليعزز كل منهم وجهة نظره التي تنسجم مع عاطفته السياسية . على أننا نتساءل هل من المعقول أن يبايع العباسيون شخصية هاشمية أخرى (غـــير عباسية) وهم يعلمون علم اليقين بأن هناك حركة سرية في خراسان تعمل من أجل انشاء دولة عباسية منذ سنة ٩٨ هـ، سنة ٧١٦م .؟! ولو أن العباسيين بايعوا محمداً في هذا الاجتماع لما سكت هذا الأخير من الاشارة إلى هذه البيعة في رسالته المشهورة إلى الخليفة المنصور سنة ١٤٥هـ ، ٧٦٢م (٤) .

وحين تسلم الخليفة العباسي الأول أبو العباس عبد الله بن محمد الخلافة حاول أن يخلق جواً من الوفاق الهاشمي (العباسي – العلوي) وأن يجعل من فترة حكمه القصيرة (١٣٢ هـ – ١٣٦ هـ) رمزاً لانتصار الحق الهاشمي .(٥) ورغم إدراك الخليفة بوجود تحركات موالية للعلويين في العراق وخراسان ومعرفته باتصالات يزيد بن عمر بن هبيرة مع محمد ذي النفس الزكية، ومراسلات أبي سلمة الخلال مع شخصيات علوية، وثورة شريك بن شيخ المهري باسم العلويين في خراسان (٦) فإنه استقر على سياسة الترضية واللين التي تظهر في محاولاته التقرب من العلويين ومن اشعار شعراء البلاط العباسي في ذلك العهد . ولكن يجدر بنا القول بأن أبا العباس أعلنها منذ البداية وبوضوح لا يقبل الشك بأن الخلافة عباسية وستبقى عباسية وانكر أن يكون لأحد غيرهم الحق فيها .(٧)

إن حالة الموادعة التي يشوبها جو التأزم والحرج لم تدم طويلاً فلم تكن هذه السياسة لتوافق المنصور الخليفة العباسي الثاني (١٣٦هـ – ١٥٨هـ) الذي أظهر بجلاء أثر تسلمه الحكم بأن « الملوك لا تحتمل القدح في الملك » وان هدفه تثبت كيان الدولة العباسية مهما كان الثمن . وقد ركز الخليفة جهوده على الحركة العلوية لادراكه بأن هذه الحركة أصبحت رمزاً للمعارضة ضد العباسيين(٨) حيث ان الكتل المتذمرة والتي أخفق العباسيون في كسبها نقلت ولاءها إلى العلويين وأخذت تدعو لهم سواءً كان ذلك باخلاص أو بمجرد التظاهر لا تخاذهم واجهة سياسية لغايات أخرى مبيّتة .

وقد زار المنصور الحجاز مرتين سنة ١٣٦هـ و سنة ١٤٠ هـ للحج ولكي يقف عن كثب على الجو السياسي . وطلب من عبد الله الحض أن يخرج بنيه محمد وابراهيم اللذين اختفيا عن الأنظار ولكن المحض لم يعطـه أية إشارة إلى مكان وجودهما ولا عن فعالياتها. والظاهر أن فعاليات محمد ذي النفس الزكية كانت شغل الخليفة الشاغل « فلم تكن له همة إلا طلب محمد والمسألة عنه » . ومن « أجل أن يستخرج الثعلب من حجره » على حد قول الخليفة نفسه كان لا بد من إجراءات جديدة وقوية، فصرف الأموال وأرسل العيون والجواسيس على هيئة تجار ، وكتب الرسائل على لسان القادة والشيوخ إلى محمد ذي النفس الزكية يتظاهرون بالولاء للقضية العلوية . ولكن هذه الاجراءات كلها لم تحقق نتائج إيجابية ولذلك قرر الخليفة إرسال رباح بن عثمان المري والياً على المدينة حيث وصلها في ٢٣ رمضان سنة ١٤٤ هـ .

ويعتبر تعيين رباح المري بداية النهاية لتحديات محمد ذي النفس الزكية ذلك لان الاجراءات التي اتخذها كانت من الشدة بحيث اجبرت محمـــداً على الظهور واعلان الثورة. ولعل عنف رباح المري يظهر منقوله لعبدالله المحمض: ايها الشيـخ ان أمير المؤمنين والله ما استعملني لرحم قريبة ولا يد سلفت اليه والله لا لعبت بي كما لعبة بزياد بن عبيد الله الحارثي] ومحمد بن خالد القسري والله لازهقن نفسك أو لتأتيني بابنيك محمد وابراهيم » .

وخاطب اهل المدينة قائلا :«يا أهل يثرب لا مقام لكم فأرجعوا . أنا ابن عم مسلم بن عقبة الشديد الوطأة عليكم الوبن الوقعة بكم ، الخبيث السيرة فيكم. ثم انتم اليوم عقب الذين حصدهم السيف ، وأيم الله لاحصدن منكم عقب الذين حصده ، ولألبسن الذل عقب من البس » . (٩)

وسجن المري بأمر الخليفة عـــدداً من العلويين والطالبين وحين عـاد المنصور من الحج سنة ١٤٤هـ قرر جلبهم معه إلى هاشمية الكوفة حيث سجنوا جميعاً، ثم قتل منهم ثلاثة هم عبدالله بن الحسن المحض ومحمد بن عبدالله العثماني ومحمد بن ابراهيم بن الحسن بأمر من المنصور . (١٠)

اعلن محمد ذو النفس الزكية ثورته في أول رجب سنة ١٤٥ هـ / أيلول سنة ٧٦٢ م في المدينة وتعتبر ثورة المدينة ثم ثورة ابراهيم بن عبد الله المحض في البصرة ذروة الكفاح العلوي ضد العباسيين الأوائل .

رسالة المنصور الاولى لمحمد ذي النفس الزكية :

ومن اجل ان يضع التبعة على عاتق محمد ذي النفس الزكية .. ثم من اجل ان يكسب مزيداً من الوقت ليجمع القوات الخراسانية المتفرقة في الاقاليم ، دخل المنصور في سلسلة من المراسلات مع محمد ذي النفس الزكية فأرسل رسالته الأولى [١١] قائلا : بسم الله الرحمن الرحيم : من عبدالله أمير المؤمنين الى محمد بن عبدالله . (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا ، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ، إلا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم) .

ولك علي عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله ﷺ ، إن تبت ورجعت من قبل ان أقدر عليك ان أؤمنك وجميع ولدك وإخوتك وأهل بيتك ومن اتبعكم ، على دمائكم وأموالكم ، وأسوغك ما أصبت من دم أو مال ، وأعطيك ألف ألف درهم وما سألت من الحوائج ، وأنزلك من البلاد حيث شئت ، وأن اطلق من في حبسي من أهل بيتك وأن أؤمن كل ما جاءك وبايعك واتبعك أو دخل معك في شيء من أمرك ، ثم لا أتبع أحداً منهم بشيء كان منه ابدا ، فإن اردت أن تتوثق لنفسك فوجه إليّ من أحببت يأخذ لك من الأمان والعهد والميثاق ما تثق به » .

جواب محمد :

فأجابه محمد ذو النفس الزكية قائلا :[١٢] « بسم الله الرحمن الرحيم : من عبدالله المهدي محمد بن عبدالله ، الى عبدالله بن محمد . (طسم ، تلك آيات الكتاب المبين ، نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ، إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً ، يستضعف طائفة منهم ، يذبح

أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين ، ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم في الأرض ونُري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) .

وأنا أعرض عليك من الأمان مثل الذي عرضت عليّ ، فان الحق حقنا ؛ وانما أدعيتم هذا الأمر بنا ، وخرجتم له بشيعتنا ، وحظيتم بفضلنا . وان أبانا علياً كان الوصي وكان الإمام ، فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء ؟ ثم قد علمت أنه لم يطلب هذا الأمر أحد له مثل نسبنا وشرفنا وحالنا وشرف آبائنا . لسنا من أبناء اللعناء ولا الطرداء ولا الطلقاء ، وليس يمت أحد من بني هاشم بمثل الذي نمت به من القرابة والسابقة والفضل ، وإنا بنو أم رسول الله ﷺ ، فاطمة بنت عمرو في الجاهلية وبنو بنته فاطمة في الاسلام دونكم. إن الله اختارنا واختار لنا ، فوالدنا من النبيين محمد ﷺ ومن السلف أولهم إسلاماً علي ، ومن الأزواج افضلهن خديجة الطاهرة وأول من صلى القبلة . البنات خيرهن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ، ومن المولدين في الاسلام حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنة، وإن هاشماً ولد عليا مرتين وان عبد المطلب ولد حسنا مرتين ، وان رسول الله ﷺ ولدني مرتين من قبل حسن وحسين، وإني أوسط بني هاشم نسبا وأصرحهم أبا ، لم تعرق فيّ العجم ، ولم تنازع في أمهات الأولاد فما زال الله يختار لي الآباء والأمهات في الجاهلية والإسلام حتى اختار لي في النار ، فأنا أبن ارفع الناس درجة في الجنة ، وأهونهم عذابا في النار، وأنا ابن خير الأخيار وابن خير الأشرار ، وابن خير أهل الجنة وابن خير أهل النار . ولك الله عليّ ان دخلت في طاعتي وأجبت دعوتي ، ان أومنك على نفسك وما لك وعلى كل أمر أحدثته إلا حدا من حدود الله ، أو حقاً لمسلم أو معاهد فقد علمت ما يلزمك منذلك،وأنا أولى بالأمر منك،وأوفي بالعهد لأنك اعطيتني من العهد والأمان ما أعطيته رجالا قبلي فأي الأمانات تعطيني؟ أأمان ابن هبيرة ؟ أم أمان عمك عبدالله بن علي ؟ أم أمان أبي مسلم ؟

رسالة المنصور ثانية :

فرد عليه الخليفة المنصور « بسم الله الرحمن الرحيم؛ أما بعد ! فقد بلغني

كلامك ، وقرأت كتابك ، فإذا جل فخرك بقرابة النساء لتضل بـه الجفاة والغوغاء . ولم يجعل الله النساء كالعمومة والآباء ، ولا كالعُصبة والأولياء ، لأن الله جعل العم أبا ، وبدأ به في كتابه على الوالدة الدنيا. ولو كان اختيار الله لهن على قدر قرابتهن كانت آمنة أقربهن رحماً ، وأعظمهن حقا ، واول من يدخل الجنة غدا .

ولكن اختيار الله لخلقه على علمه لما مضى منهم، واصطفائه لهم . وأما ما ذكرت من فاطمة أم أبي طالب وولادتها ، فإن الله لم يرزق أحداً من ولدها الإسلام لا بنتاً ولا ابناً. ولو أن أحداً رزق الاسلام بالقرابة ، رزقه عبدالله، أولاهم بكل خير في الدنيا والآخرة ؛ ولكن الأمر لله يختار لدينه من يشاء قال الله عز وجل (إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) .

ولقد بعث الله محمدا عليه السلام وله عمومة أربعة ، فأنزل الله عز وجـل (وأنذر عشيرتك الأقربين) ، فأنذرهم ودعاهم ، فأجاب اثنان أحدهما أبي وأبىَ اثنان أحدهما ابوك فقطع الله ولايتهما منه ، ولم يجعل بينه وبينهما إلاّ ولا ذمة ولا ميراثا .

وزعمت أنك ابن أخف أهل النار عذابا ، وابن خير الأشرار . وليس في الكفر بالله صغير ، ولا في عذاب الله خفيف ولا يسير ، وليس في الشر خيار ولا ينبغي لمؤمن يؤمن بالله أن يفخر بالنار وسترد فتعلم (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) .

وأما ما فخرت به من فاطمة أم علي ، وأن هاشماً ولده مرتـين ، ومن فاطمة أم حسن وأن عبد المطلب ولده مرتين ، وأن النبي ﷺ ولدك مرتين ، فخير الأولين والآخرين رسول الله ﷺ، لم يلده هاشم إلا مرة، ولا عبدالمطلب إلا مرة . وزعمت أنك أوسط بني هاشم نسباً وأصرحهم أماً وأباً ، وأنه لم تلدك العجم ولم تعرق فيك أمهات الأولاد ، فقد رأيتـك فخرت على بني هاشم طراً ، فانظر ويحك أين أنت من الله غداً ؛ فإنك قد تعديت طورك ،

وفخرت على من هو خير منك نفساً وأباً وأولا وآخراً ، ابراهيم ابن رسول الله ﷺ ، وعلى والد ولده وما خيار بني أبيك خاصة ، وأهل الفضل منهم إلا بنو أمهات أولاد .

وما ولد فيكم بعد وفاة رسول الله ﷺ أفضل من علي بن حسين وهو لأم ولد ، ولهو خير من جدك حسن بن حسن . وما كان فيكم بعده مثل ابنه محمد بن علي وجدّته أم ولد ، ولهو خير من أبيك ، ولا مثل ابنه جعفر ، وجدّته أم ولد ولهو خير منك ، وأما قولك : إنكم بنو رسول الله ﷺ ، فإن الله تعالى يقول في كتابه (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) .

ولكنكم بنو ابنته وانها لقرابة قريبة ولكنها لا تحوز الميراث ، ولا ترث الولاية ، ولا تجوز لها الإمامة ، فكيف ترث بها ؟. ولقد طلبها أبوك بكل وجه فأخرجها نهاراً ومرضها سراً ، ودفنها ليلاً ، فأبى الناس إلا الشيخين وتفضيلها ، ولقد جاءت السنة التي لا اختلاف فيها بين المسلمين أن الجد أب الأم والخال والخالة لا يرثون .

وأما ما فخرت به من علي وسابقته ، فقد حضرت رسول الله ﷺ الوفاة فأمر غيره بالصلاة ، ثم أخذ الناس رجلاً بعد رجل فلم يأخذوه ، وكان في الستة فتركوه كلهم دفعاً له عنها ، ولم يروا له حقاً فيها . أما عبد الرحمن فقدم عليه عثمان ، وقتل عثمان وهو له متهم ، وقاتله طلحة والزبير ، وأبى سعد بيعته ، وأغلق دونه بابه . ثم بايع معاوية بعده ، ثم طلبها بكل وجه وقاتل عليها ، وتفرق عنه أصحابه وشكّ فيه شيعته قبل الحكومة ، ثم حكم حكمين رضي بهما وأعطاهما عهده وميثاقه ، فاجتمعا على خلعه ثم كان كان حسن فباعها من معاوية بخرق ودراهم ، ولحق بالحجاز ، وأسلم شيعته بيد معاوية ودفع الأمر إلى غير أهله ، وأخذ مالاً من غير ولائه ولا حله ، فإن كان لكم شيء فقد بعتموه وأخذتم ثمنه . ثم خرج عمك حسين بن علي على ابن مرجانة فكان الناس معه عليه ،حتى قتلوه وأتوا برأسه إليه ، ثم خرجتم على بني أمية فقتلوكم وصلبوكم على جذوع النخل ، وأحرقوكم بالنيران ، ونفوكم من البلدان حتى قتل يحيى بن زيد بخراسان . وقتلوا رجالكم وأسروا الصبية

والنساء وحملوهم بلا وطاء في المحامل كالسبي المجلوب إلى الشام ، حتى خرجنا عليهم ، فطلبنا بثأركم وأدركنا بدمائكم ، وأورثناكم أرضهم وديارهم وسنينا سلفكم وفضلناه ، فاتخذت ذلك علينا حجة ، وظننت أنا إنما ذكرنا أباك وفضلناه للتقدمة منا له على حمزة والعباس وجعفر . وليس ذلك كما ظننت ، ولكن خرج هؤلاء من الدنيا سالمين ، متسلماً منهم ، مجتمعاً عليهم بالفضل وابتلى أبوك بالقتال والحرب ، وكانت بنو أمية تلعنه كما تلعن الكفرة في الصلاة المكتوبة فاحتججنا له وذكرناهم فضله ، وعنفناهم وظلمناهم بما نالوا منه ولقد علمت ان مكرمتنا في الجاهلية سقاية الحجيج الأعظم، وولاية زمزم ، فصارت للعباس من بين إخوته ، فنازعنا فيها أبوك ، فقضى لنا عليه عمر ، فلم نزل نليها في الجاهلية والاسلام . ولقد قحط أهل المدينة ، فلم يتوسل عمر إلى ربه ، ولم يتقرب إليه إلا بأبينا ، حتى نعشهم الله، وسقاهم الغيث، وأبوك حاضر لم يتوسل به .

ولقد علمت أنه لم يبق أحد من بني عبد المطلب بعد النبي ﷺ غيره ، فكان وارثه من عمومته . ثم طلب هذا الأمر غير واحد من بني هاشم ، فلم ينله إلا ولده : فالسقاية سقايته ، وميراث النبي له ، والخلافة في ولده ، فلم يبق شرف ولا فضل في جاهلية ولا في إسلام في دنيا ولا آخرة، إلا والعباس وارثه ومورثه .

أما ما ذكرت من بدر،فان الإسلام جاءوالعباس يمون آل أبي طالب وعياله، وينفق عليهم للأزمة التي أصابته . ولولا أن العباس أخرج إلى بدر كرهاً ، لمات طالب وعقيل جوعا ، وللحسا جفان عتبة وشيبة ، ولكنه كان من المطعمين ، فأذهب عنكم العار والسبة ، وكفاكم النفقة والمؤونة ؛ ثم فدى عقيلاً يوم بدر . فكيف تفخر علينا وقد علناكم في الكفر ، وفديناكم من الأسر ، وحزنا عليكم مكارم الآباء . وورثنا دونكم خاتم الأنبياء ، وطلبنا بثأركم فأدركنا منه ما عجزتم عنه ، ولم تدركوا لأنفسكم ؟ والسلام عليك ورحمة الله (١٣) .

إن الرسائل التي تبودلت بين محمد ذي النفس الزكية وأبي جعفر المنصور

ربما كانت أهم وأطرف وجه للعلاقات العباسية العلوية في العصر العباسي الأول لأنها :

١ ـ عكست آراء زعيمين متنافسين حول مسألة شائكة هي الخلافة .

٢ ـ لقد كانت الرسائل هذه ذات أهمية دعائية كبيرة لكلا الطرفين المتنازعين حيث بينت وجهة نظرهما ودافعت عنها بشدة .

٣ـ اعتبرت الرسائل بمثابة إعلان للحرب، وتبرير للنزاع المسلح بين فرعي بني هاشم. فلقد كان واضحاً منذ البداية أن الطرفين لم يكونا يتوقعان الخضوع أو الصلح كنتيجة لهذه المراسلات . والحقيقة أن الرسالة الأولى لأبي جعفر تدل على استحالة الصلح لأنها تهدد وتتوعد قبل أن تمنّي أو تعفو. وقد كان محمد ذو النفس الزكية يدرك ذلك حيث كتب إلى عيسى بن موسى القائد العباسي بأن العباسيين لو ظنوا بأنه سيقبل الوعود والامتيازات التي قدموها له لما ذكروها .

النقد الخارجي :

أ ـ **ظروف الأزمة** : لقد راسل الخليفةُ محمداً ذا النفس الزكية بعد أن ظهر وأعلن ثورته . ويشير ابن الطقطقي إلى ذلك فيقول بأن الأمور كانت تمر ببطء، والتأزم بلغ أشده حين «تكاتبا وتراسلا». وحين يصف هذه الكتب يقول بأنها كتب نادرة تعد من محاسن الكتب ، وأنهما أي الخليفة والثائر « احتجا وذهبا في الاحتجاج كلّ مذهب »[١٤]. أما المبرد فيعتبرها «طريفة ومستحسنة جداً »[١٥].

ولعلنا نعيد الى الأذهان القول بأن محمدا ذا النفس الزكية أجبر على الخروج من محل اختفائه على حد قول بعض الروايات حيث تذكر أن الخليفة قال ما معناه بأنه استطاع أن يخرج الثعلب من مخبئه .ولذلك فالخطوة التالية بالنسبة للخليفة كانت على حد قول نفس الروايات « انذره قبل قتاله »[١٦] . وعبر الخليفة في رسالته عما كان يجول في خاطره من أفكار وقد منع الخليفة

وزيره أبا ايوب المورياني من أن يرد عليه وفضل ان يرد عليه بنفسه قائلا : « إذا تقارعنا على الأحساب فدعني له »[١٧] .

ولعلنا نذكر كذلك أن الخليفة كان دؤوباً في التفتيش عن محمد يقول عمر بن شبة عن الخليفة : « لم تكن له همة الا طلب محمد والمسألة عنه ». وتقول روايه أخرى أنه « جدّ في طلب محمد وألح في طلبه » أو « لم تكن له همة الا طلب محمد »[١٨] . اما اجراءات الخليفة الذي كان يعرف انه ينـــازع شخصاً « لا يؤمن وثوبه عليه وأنه للذي لا ينام عنه »[١٩] فتتلخص بالآتي :

(١) ارسال العبيد للتجسس على محمد ذي النفس الزكية في الحجاز على هيئة تجار وبياعي عطر وغيره[٢٠]

(٢) محاولة اقناع عبدالله بن الحسن المحض باظهار ابنه محمد الذي اجـاب دون وجل . « لو كان تحت قدميّ ما رفعتهما عنه » .

(٣) حبس الحسنيين والطالبيين من أقرباء محمد وخاصة ابيه .

(٤) اقصاء الولاة الذين لم يجدوا في طلب محمد وتعيين ولاة آخرين .

(٥) ولم يتورع الخليفة عن استخدام السحر لمعرفة مكان اختفاء محمـــد كما تذكر بعض الروايات .

(٦) ارسال كتب على لسان الولاة والقواد والأقاليم يدعون محمدا الى الظهور ولعل هذه الاجراءات[٢١] تعكس مقدرة الخليفـة في استغلال الموقف لصالحه عن طريق الاستفادة من النزعة الشريرة لدى اتباعه وتوجيههم ضد محمد الثائر . كل ذلك يوضح لنا الموقف السياسي المتأزم والحـــالة النفسية الحرجة لكلا الزعيمين .

ب – مصادر الرسائل التاريخية :

لقد ذكر هذه الرسائل عدد كبير من المصادر المتقدمة والمتأخرة ورغم أن المتأخرين نقلوا حرفياً أو مختصراً أو اشاروا الى هذه الرسائل معتمدين

على المتقدمين من المؤرخين الا ان سند هذه الروايات والمصادر التي ذكرت فيها لا تدع مجالا للشك في كونها حقيقة تاريخية معترف بها .

ولكن نصوص هذه الرسائل ربما حرّفت هنا وهناك من قبل رواة ذوي ميول علوية أو عباسية ، يقول الأزدي [٢٢] « فأنبأني محمد بن يزيد عن عمر ابن عبيدة عن محمد بن يحيى قال : سمعت هذه الرسائل من محمد بن بشر وكان يصححها وحدثينها ابو عبد الرحمن من كتاب أهل العراق عن ابن ابي حرب وكان يصححها » .

ولعل أقوى دليل على صحتها هي وجودها في مصادر متقدمة رئيسية : مثل البلاذري والأزدي والطبري والمبرد وابن عبد ربه وابن مسكويه وكتاب « غرر السير » وكتاب « العيون والحدائق » وابن الجوزي والتبريزي صاحب كتاب « تحفة الأولياء والاتقياء » وابن الاثير والنويري والذهبي وابن كثير وابن خلدون . ويعلق هذا الأخير على الرسائل المتبادلة فيقول بأنها كانت تتعلق « بالانساب والأحوال » وان كلا من الخليفة ومحمد « انتصف لنفسه » وان الأمور التي عرضاها كان « ينبغي الاعراض عنها »[٢٣]. ويتفق صاحب كتاب « غرر السير » مع ابن خلدون حين يصف هـذه الرسائل ويقول : « وعلا الأمر عن العتاب والخطب عن الخطاب »[٣٤] .

ثم اننا نستطيع أن نفهم سبب تحـرج اليعقوبي والاصفهاني من ذكر هذه الرسائل بسبب ميولهما العلوية المعتدلة ولكن ما هي الأسباب التي دفعت مؤرخين آخرين لاختصار هذه الرسائل أو الاكتفاء بالاشارة إليهـا فقط وخاصة فيما يتعلق بالرسالة الثالثة . هل انه طول الرسائل أم عدم الثقة فيها لأن يد الوضع حرفت وبدلت فيها أو التحرج منها ؟!.

إن المصدرين الرئيسيين للرسائل هما الطبري والمبرد ، مع ان نص الطبري يختلف عن نص المبرد فإنهما يتشابهان في المعنى العام. وقد تبع بقية المؤرخين أحد هذين المصدرين الرئيسيين .

أما التبريزي فيذكر رسالة رابعة من محمـد ذي النفس الزكية إلى الخليفة

وينفرد بها حيث لا يذكرها غيره بهذا الشكل المطول . ويعبّر التبريزي عن ميوله العلوية فيقول مثلاً على لسان محمد : « واني لم أخرج طالباً الدنيا وزخرفها وإنما خرجت لأريح الأمة من ظلمكم وخروجكم وتعديكم (٢٥) » .

وأخيرا فإن إجابة الخليفة على رسالة الثائر محمد نقطة نقطة ، وسيره في جداله معه فكرة بعد أخرى ، حيث لم يترك رأياً جاء به محمد ذو النفس الزكية إلا ردّ عليه برأي مضاد ، إن هذا يدل دلالة واضحة على حقيقة الرسائل وصحتها .

النقد الداخلي :

أ ـ ان الرسالة الأولى للخليفة كانت نذيراً ببدء النزاع المسلح وكانت صفتها دعائية ، ذلك لأنها في الوقت الذي تدعو الى الاتفاق والسلم فانها تجعل ذلك السلم مستحيلاً بالتهديدات . فهي توعد بالقتل قبل أن تمنّ بالصلح والوفاق ، كما أنها تسأل من محمد ذي النفس الزكية أكثر مما تعطيه فعلاً . وهي لذلك بمثابة الإنذار قبل القتال .

ب ـ ان جواب محمد ذي النفس الزكية على رسالة الخليفة يعبّر بصورة واضحة وصحيحة عن موقف المعتدلين من العلويين حول مسألة الخلافة ، ويمكن اجماله بالآتي :

(١) لقد استند محمد في ادعائه الخلافة لا على كونه من نسل الامام علي (رض) فقط ولكن على كونه من نسل فاطمة (رض) ابنة الرسول (ﷺ) . وكان على محمد أن يؤكد هذا المفهوم الجديد في نزاعه مع العباسيين وذلك لأن العباسيين هم احفاد العباس عم النبي (ﷺ) بينما علي (رض) كان ابن عم النبي (ﷺ) . والعم أقرب من ابن العم .

(٢) افتخر محمد على أبي جعفر بكونه ابن أم عربية حرة . وهذه الاشارة لا بد أن تكون قد اغضبت الخليفة الذي كان ابن أمة بربرية اسمها (سلامة) بينما كان محمد ابن أم عربية هاشمية من نسل الحسين (ض) . وكان هذا

المفهوم الارستقراطي في النسب سائدا في عهد الأمويين بصورة خاصة الذين حرموا الكثير من اولاد الاماء مثـــل مسلمة بن عبد الملك من الخلافة رغم مقدرتهم .

ثم ان افتخار محمد بنسبه العربي الأصيل لا يمكن أن يكون قد لاقى تقبلاً من الموالي (المسلمين من غير العرب) في الحجاز وخراســـان والعراق الذين كانوا أنصار للعلويين خاصة وأنه كان بحاجة الى الأنصار لأن أكثر القبائل الحجازية لم تكن علوية كما هو الحال في الكوفة . وربما كان الناس في الحجاز يعطفون على ما لاقاه العلويون من شدة وعنف ولكن الذين يعتقدون بأحقية آل علي في الخلافة كانوا قلة في الحجاز .

(٣) لقد ذكّر محمدٌ ابا جعفر بان جده العباس كان من بـين الطرداء والطلقاء واللعناء . أما الطلقاء فهم أهل مكة من الكفار حيث اطلق عليهم الرسول ﷺ هذه التسمية بعد فتح مكة . أما الطرداء واللعناء فهم بعض الأمويين أيضاً ولعلها تشير كذلك بصورة عامة الى اولئك الذين حاربوا الرسول ﷺ ولم يدخلوا الاسلام الا بعد فتح مكة سنة ٨ هـ ٦٣٢م . والمعروف ان العباس حارب في جانب قريش في معركة بدر وأسر من قبل المسلمين .

(٤) ولم يلقب محمد نفسه امير المؤمنين أول الأمر وانما سمى نفسه المهدي وهي الفكرة البراقة التي كانت تجذب اليها الجماهير اكثر من أية فكرة اخرى لأنها تبعث فيها الآمال وترضى التطلعات نحو المستقبل .

(٥) يستهزيء محمد بأمان الخليفة مذكراً إياه بالأمان الذي أعطاه قبل ذلك لعبد الله بن علي ولأبي مسلم الخراساني وليزيد بن عمر بن هبيرة .

٦ ـ ولم يترك الخليفة المنصور في جوابه على رسالة محمد ذي النفس الزكية دعوى علوية إلا وأجاب عليها بدعوى عباسية والواقع أن إجابته تسلسلت نقطة فنقطة دون أن يهمل شيئاً من ذلك . وأهم ما في رسالته الجوابية هو :

(١) دحض أبو جعفر ادعاء عليٍّ اعتبار أنه يستند على قرابة النساء بينما تعتبر قرابة العمومة (العباس) أقرب من قرابة النساء (فاطمة) . لقد كانت

محاولة بارعة من الخليفة ان يبني ادعاءه على أسس شرعية ودينية وأسس تستند على التقاليد العربية فالعم يصبح كالأب بالنسبة لأبناء أخيه المتوفي، والعم أب كا هو معروف لدى العرب .

(٢) ذكّر أبو جعفر محمداً بأن العباس كان مسؤولاً عن سقاية الحجاج عند الكعبة في الجاهلية والإسلام . وهذا ما يسمى «بحق الحرمة» التي زادت من شهرة العباس بين الناس حتى أن عمر بن الخطاب (رض) استغاث به حين حصل الجفاف في الحجاز في إحدى السنوات .

ولعل ذكر أبي جعفر لقرار عمر بن الخطاب كانت له دلالته حيث جعل نفسه في صف (أصحاب الحديث) الذين تطوروا فيما بعد إلى ما يسمى (بأهل السنة والجماعة) .

(٤) وكان أبو جعفر متعمداً في رسالته حين مدح الفرع الحسيني وفضلهم على الفرع الحسني . ففضل علياً زين العابدين على عبد الله بن الحسن وفضل جعفراً الصادق على محمد ذي النفس الزكية . وبما أن زين العابدين والصادق من أبناء أمهات أولاد وأن عبد الله ابن الحسن وابنه من أمهات عربيات هاشميات فإن الخليفة يدحض بذلك فخر محمد بقرابة النساء ونقاءَ الدم بصورة غير مباشرة ، ويثبت مركزه باعتباره ابن أم ولد نفسه .

(٤) إلا ان أهم نقطة في رسالة الخليفة هي حين تتكلم الحقائق المبسطة من الوقائع التاريخية، وهنا يحقق أبو جعفر كسباً قوياً في منافسته لمحمد حيث يبيّن الخليفة بوضوح أن العلويين حاولوا مرات الثورة ضد الأمويين ولكن ثوراتهم فشلت المرة تلو الأخرى. ثم حاول العباسيون محاولتهم الثورية فنجحت .

وكرّر الخليفة فكرته قائلا بأن بني هاشم وأهل البيت عموماً لهم نفس الحق في الخلافة وبما أن العباسيين قد حققوا الانتصار بالقوة فإن انتصارهم يبرر حصولهم على السلطان على عكس العلويين الذين حاولوا ففشلوا .

وقد بين الخليفة هـذه النظرة نفسها في خطبة ألقاها على قواده ومواليه وأهل بيته حين سمع بنبأ ثورة محمد حيث قال : [(وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيـــامة كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين) أما والله لقد عجزوا عن أمر قمنا به فما شكروا القائم ولا حيوا القائم . كلا والله لأن أموت معززاً أحب إلي من أحيا مستذلاً ولئن لم يرض بالعفو مني ليطلبن ما لا يوجد عندي والسعيد من وعظ بغيره] .

(٥) ويظهر الخليفة نفسه بأنه يستطيع أن يكون كمنافسه فخوراً ومتمالياً حينما يرد في آخر رسالته على ما ذكره محمد من أن العباس كان من الطلقاء فيقول : بأن العباس نفسه خلص طالبا وعقيلا وفداهما من الأسر . وذكّره كذلك بأن العباسيين قسموا الكثير من الأراضي الأموية على العلويين وأكرموهم.

(٦) كما أشار الخليفة بأن الأمويين أخذوا بثأر أبناء عمهم العلويين من الأمويين .

د ـ ولا تذكر مصادرنا التاريخية أن محمداً ذا النفس الزكية أجاب على هذه الرسالة، ولكن المستشرق تريني يذهب إلى وجود رسالة رابعة موجودة في مخطوطة « زهرة العيون وجلاء القلوب » في ١٨ صفحة الموجودة في القسم الثالث المسمى « بتحفة الأولياء والأتقياء » . ولكننا نتفق مع المستشرق فان أريندونك بأن لا صحة لهذه الرسالة الموضوعة من قبل بعض الرواة ذوي الميول العلوية ، خاصة وإننا نعلم أن الرواة العرب مولعين بتصوير امثال هذه المساجلات والمناظرات وإضفاء صيغة اسطورية عليهافيها الكثير من المبالغة .

وهناك نقطة ثانية أثارها تريني الذي يفترض بان جزءاً من رسالة محمد الى الخليفة قد حذف من قبل الرواة خشية من العباسيين أو ولاءاً لهم . ان النص المحذوف يشير إلى تذكير محمد ذي النفس الزكية للخليفة ببيعته له في اجتماع الأبواء حيث يعتقد تريني بان الهاشميين بايعوا محمدا في ذلك الاجتماع [٢٨] .

ولا شك بان بعض الروايات تذكر ان الهاشميين وفيهم أبو جعفر قد بايعوا محمدا في الأبواء .ويذكر تريني مثلا الرواية التي تذكر بان الهاشميين في

الحجاز ذكروا الخليفة المنصور الذي كان يسألهم عن مكان اختفاء محمـــد قائلين « يا امير المؤمنين قد علم انك قد عرفته يطلب هذا الشأن قبل اليوم فهو يخافك على نفسه ... » . ولكن هذه الرواية لا تدل على البيعة ولا تشير اليها . وهناك رواية ثانية تقول بان الخليفة هدد عثمان بن خالد الزبيري لاعانته لمحمد فقال له. «بايعتُ أنا وأنت رجلاً بمكة فوفيتُ ببيعتي وغررتَ ببيعتكَ» فأمر المنصور بقتله . ثم إن الازدي يظهر بان الرسائل قد صححت مرات من قبل الرواة ، كما أن المبرد يعترف بانه قد اختصر بعض نصوصها مبرراً ذلك بالقول « ان الراوية احد الشاتمين » ، ويطلب من قرائه الا يسألوا عن النص كاملاً الذي ربما لا يستطيع تقديمه لأسباب تتصل بالسلطة العباسية .

ويقترح تريني بأن الفقرة التي تتعلق ببدر في رسالة ابي جعفر لا يمكن ان ترد في الرسالة دون مقابل لها في رسالة محمد. ولذلك فان محمدا – ، على رأي تريني – لا بد أن يكون قد ذكر البيعة في الابواء ولذلك فقد رد عليـــه ابو جعفر ذاكراً بأن العباس كان المطعم لقريش ومنهم آل عـــلي في الأبواء في طريق بدر وانه فداهم بعد بدر .

على أن تخريج الاستاذ تريني لا يستند على أساس تاريخي قوي ومن الصعوبة تصديقه خاصة إذا علمنا أن محمدا ذا النفس الزكية على عكس ما يقول تريني أشار إلى بدر فعلا في رسالته حين اتهم أبا جعفر بانه من ابناء الطلقاء واللعناء والطرداء .

الخاتمة

لقد اظهرت الرسائل والخطب التي تبادلها الخليفة ومحمد ذو النفس الزكية شخصية الطرفين المتنازعين فالروايات تبرز ما يتصف بـــه محمد ذو النفس الزكية من صفات الشهامـــة والكرم والنبل والشجاعة ولعلنا نستطيع ان نختصرها (بالفروسية) . ثم إن تربيته ورعاية والده الشديدة له حيث سماه ذا النفس الزكية (التي تدل على المثالية في الخلق) والمهدي (الذي يظهره بمظهر المنقذ السياسي المنتظر) جعلته شخصاً ذا كرامة يعتبر الموت بعز أفضل من النجاح اذا لم يستطع تحقيقه .

ولكن هذه الصفات التي جعلت من محمد شخصاً يعيش في احلام من الخيال وكذلك تلك الانفعالية الملتهبة التي تعكسها رسائله وخطبه في اتباعه بالحجاز ، كان لها الأثر الفعال في خلق الأعداء وتنفير الأتباع ، وبالتالي فشل الثورة .

وعلى العكس فقد كان الخليفة ابو جعفر يتكلم بلغة الواقعي الواثق من نفسه ، وكانت نبرته اكثر دقةً واتزاناً وتأثيراً لا بسبب ان دعواه افضل من دعوى محمد بل لأنه كان أقــل انفعالية وأكثر هدوء ، كما أنه سمح لنفسه بمقارعة أكثر عنفاً وأقل احتراماً من مقارعة محمد له . هــذا بالاضافة إلى استعماله اسلوباً تهكمياً استهزائياً حتى لكأنه ظهر أو لعله تظاهر ببراعة على حبه واستهوائه لهذه الفرصة التي سنحت له ليجادل بها العلويين في الحسب والنسب والأولوية بالامر والوفاء بالعهد .

الدكتور فاروق عمر

الحواشي :

(١) أنظر مقالة « إبراهيم الإمام » في دائرة المعارف الإسلامية (باللغة الانكليزية) كتبها الدكتور فاروق عمر .

(٢) أنظر : الدكتور فاروق عمر : الخلافة العباسية ١٣٢ هـ - ١٧٠ هـ ، (بالانكليزية) ، ص ٢١١ فما بعد ، بغداد ، ١٩٦٩ .

(٣) البلاذري ، مخطوط أنساب الاشراف (استانبول) ص ٦٠٨ ب . - الاصفهاني: مقاتل الطالبين ، ص ١٤٣ ، ١٧٦ ، ١٧٨ . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ٣ ، ص ١٤٤ طبعة ليدن الأوروبية .

(٤) الطبري ، جـ٣ ، ص ٢٠٩ - ٢١٠ . - ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ٤ ، ص ١١٥ - ١١٨ ، - الأزدي : تاريخ الموصل ، ص ١٨٢ - ١٨٣ ، القاهرة ١٩٦٧ .

(٥) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٧٨٣ بـ . الطبري ، جـ٣ ، ص ٣٩ . - المسعودي : مروج الذهب - جـ٦ ص ١١٦ .

(٦) البلاذري : المصدر السابق ص ٦٨٠ أ . - الاصفهاني : الأغاني : جـ١٠، ص ١٠٥.- الطبري: جـ٢ ، ص ١٧١٣ جـ٣ ، ص ١٤٦ ، ١٧٨

(٧) البلاذري: المصدر السابق : ص ٧٨٤ بـ - ص ٧٨٥ أ . - الطبري : المصدر السابق: جـ٣ ، ص ٢٩ فمـا بعد .

(٨) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٦١٠ أ . ـ المؤلف المجهول : العيون والحدائق ، الطبعة الأوروبية ، ص ٢٤٦ . ـ المسعودي : مروج الذهب : جـ٣ ، ص ٢٢١ .

(٩) عن هذه الاحداث وتفاصيلها أنظر الدكتور فاروق عمر : الخلافة العباسية : ص ٢٢٠ فما بعد .

(١٠) البلاذري : فتوح البلدان : ص ٢٤ . ـ الاصفهاني : مقاتل : ص ١٤٠ ، ١٥٧ ، ١٥٨ . ـ الطبري : جـ٣ ص ١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٨٨ العاملي : أعيان الشيعة : جـ٥ ، ص١٤١ .

(١١) الطبري : جـ٣ ص ٢٠٩ . ـ ابن الأثير : الكامل : جـ٥ ، ص ١١٥ . ـ العيون والحدائق ، ص ٢٤٠ فما بعد .

(١٢) الطبري جـ٣ ، ص ٩ ٢ ـ ٢١٠ . ـ الأزدي: المصدر السابق: ص ١٨٢ ـ ١٨٣ .

(١٣) الطبري : المصدر السابق . ـ الأزدي ص ١٨٣ فما بعد . ـ غرر السير ، مخطوطة (جامعة أكسفورد) ص ١٨٣ أ .

(١٤) ابن الطقطقي : الفخري ، الطبعة الأوروبية ، ص ٢٢٥ .

(١٥) المبرد : «الكامل» ، الطبعة الأوروبية ، ص ٣٠٢ .

(١٦) الطبري : جـ٣ ، ص ٢٠٦ .

(١٧) ابن الأثير : الكامل : الطبعة الأوروبية ، جـ٥ ، ص ٤٠٩ ـ ٤١٠ .

(١٨) الطبري ، جـ٣ ، ص ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٤٤ .

(١٩) المصدر السابق:جـ٣ ، ص ١٤٤ .

(٢٠) البلاذري ، أنساب الاشراف:ص ٦١٠ أ (مخطوطة) . ـ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد : جـ٣ ، ص ١٧١ .

(٢١) عن هذه الاجراءات أنظر : الطبري : جـ٣ ، ١٦١ فما بعد . ـ الأزدي : تاريخ الموصل . ـ البلاذري أنساب الاشراف ، ص ٦٢٠ أ ، أنظر كذلك فاروق عمر : الخلافة العباسية ، ص ٢٢٠ فما بعد .

(٢٢) الأزدي : تاريخ الموصل ، ص ١٨١ .

(٢٣) ابن خلدون : العبر : جـ٣ ، ص ١٩١ ، جـ٤ ، ص ٤ ـ ٦ .

(٢٤) المؤلف المجهول : غرر السير مخطوطة (مكتبة بودليان . جامعة أكسفورد) ص ١٨٢ أ ـ ١٨٣ أ .

(٢٥) التبريزي : تحفة الأولياء والأتقياء ، (مكتبة بودليان . جامعة أكسفورد) .

(٢٦) R. Traini, la corrispondenza tra al - Monsur Muhammad, Annali.

(٢٧) Van Arendark : les débuts de l'imàmat zaidite au yémen, trad. franc. par, J. Ryekmans, leyde 1960, p. 53 .

(٢٨) أنظر : R. Traini, o p. cit, P. 797

الرُّبَّان سُلَيْمَان المَهْري
ومؤلفاته في علمي الملاحة البحرية والفلكية

— القسم الاول —

مقدمات لا بد منها :

عُرف سليمان المهري لدى الدوائر العلمية الأدبية في بداية القرن التاسع عشر الميلادي عن طريق كتاب « المحيط في علم الافلاك والأبحر » للملاح الشاعر الكاتب التركي سيدي علي بن حسين ريس ، الذي اعتمد اعتماداً كلياً على مؤلفات ابن ماجد والمهري .

وعلى ذلك تمّ اكتشاف هذه المؤلفات الجديدة في مادتها، على يد المستشرق الفرنسي غبريل فيران ، فعندما كان أحد زملائه المستشرق غودفرو ديمومبين يبحث في مخطوطات المكتبة الاهلية بباريس عن موادٍ لزميله فيران تساعده في إعداد مؤلفه الذي أصدره عام (١٩١٣ — ١٩١٤ م) بعنوان « قصص الرحلات والنصوص الجغرافية العربية والفارسية والتركيـــة المتعلقة بالشرق الاقصى من القرن الثالث عشر الى القرن الثامن عشر » حالفه التوفيق بالكشف عن مخطوطتين تضمان مصنفات أحمد بن ماجد وسليمان المهري . غير أن المستشرق الفرنسي دي سلان وهو اول من وصف هاتين المخطوطتين قد سبق ديمومبين إلى ذلك ، حين عمله في إعـــداد فهرس المكتبة الذي تم طبعه عام ١٨٩٥ م . بينما كان المستشرق الفرنسي رينو حافظـــاً لمخطوطات المكتبة الاهلية قد تحدث عن سليمان المهري في مؤلفه « مقدمة عامة لدراسة الجغرافيا عند المشارقة »[١] معتمداً على كتاب امير البحر التركي سيدي علي ريس .

ومع ذلك فقد تأخر هذا الكشف إلى عام ١٩١٢ م ، وكان عليه أن

(١) Introductıon Géuéraleaia Ceographie .

ينتظر إلى عام ١٩٢٥ م، حينما نشره فيران بالتصوير الفوتوغرافي . وقد كرس فيران طاقته العلمية لهذه المصنفات ، فأصدر في سبيل ذلك سلسلة من الأبحاث والمقالات التي تتمثل في الأبحاث مما أسهم بها في « دائرة المعارف الإسلامية » وكتابه « مقدمة في الملاحة الفلكية عند العرب »[٢] . وإلى جانب فيران فإن العلامة السويسري ليوبولددي سوسر (١٨٦٦ – ١٩٢٥ م) وهو الخبير في علم الفلك والمسائل البحرية ، قد قام بقسط وافر في معالجة بعض المسائل ذات المفردات البحرية الفلكية ، التي وإن بدأت عسيرة الفهم إلا أنها أبعدمن تكون مستحيلة أمام جهودهما ، فكان نصيبها التوفيق في حالات عديدة ، وأسهمت بهذا في غنى المعجم العربي – كما يقول كراتشوفسكي – .

– ٢ –

أما المستشرق الفرنسي غبريل فيران فإنه يكفينا لكي نعرفه أن نورد هنا ما ذكره المتشرق الروسي كراتشوفسكي في كتابه عن « الأدب الجغرافي العربي » ، الذي تحدث حديثاً ممتازاً عن ابن ماجد والمهري . ومما قاله عن فيران: المستشرق الفرنسي غبريل فيران G. Ferrand عالم ممتاز، تركز نشاطه العلمي في الثلث الأول من القرن العشرين ، ويعد من كبار المتخصصين في الجغرافيا التاريخية للمحيط الهندي والجزائر الشرقية المنتشرة من ساحل أفريقية الشرقي إلى سواحل الصين ، ويعتمد نشاطه العلمي في هذا المجال على تدريب بعيد المدى وسعة في الأفق العلمي لا مثيل لها ، وقد كان فيران في بادىء الأمر من تلامذة رينيه باسيه R. Basset وقد تخرج عليه في محيط الدراسات العربية والافريقية ، ثم أمضى جميع حياته بالتقريب في الخدمة الدبلوماسية بالمستعمرات الفرنسية بالمحيط الهندي من مدغشقر إلى الهند الصينية ، وتمثل أهمية كبيرة في هذا الصدد دراساته عن اللغة الملغاشية وآثار مدغشقر القديمة، ولم يلبث أن صرف هذا الاتجاه الى الاهتمام بأرخبيل الملايو ودفعه لا إلى دراسة لغة الملايو وحدها بل لغات الشرق الأقصى الأخرى والى التعرف على تاريخ

(٢) Introduction à L'astromomie Nautique arabe (1828) .

تطور علم الفلك في تلك النواحي ، ولم يكتف بهذا بل ألم بجميع ما يمت بصلة إلى ذلك العالم القائم بذاته ، أعني ذلك المحيط الحضاري الذي امتزجت فيه الحضارة العربية بالحضارتين الهندية والملايوية . وقد توج جانباً من مجهوده في هذا الصدد بإخراج مؤلفه الأساسي الذى جمع فيه المادة العربية والفارسية والتركية المتعلقة بالجغرافيا التاريخية للهند والشرق الأقصى . وقد حالف التوفيق فيران أثناء جمعه لمادة هذا الكتاب في أن يكشف عن مصنفات لمؤلفين عربيين من الذين دونوا في محيط الجغرافيا الملاحية ، هما أحمد بن ماجد وسليمان المهري . وإذا كان الكشف عن هذه المصنفات وليد الصدفة البحتة إلا أن توضيح الأهمية الكبرى لهذه النصوص وإلقاء الضوء على محتوياتها ما كان ليأتي إلا لعالم متعدد النواحي من طراز فيران الذي أمضى جميع حياته العلمية بهذا الميدان، بل أن آخر خطوة في نشاطة العلمي كانت ترتبط ارتباطاً وثيقاً بهذه المصنفات الأخيرة كشفت عن آخر صفحة مشرقة في تاريخ الأدب الجغرافي العربي . » [١]

وتوفي فيران (١٣٥٤ – ١٩٣٥ م) وقد أعاد طبع « مروج الذهب » للمسعودي ، و « رحلة ابن بطوطة » وكان من أعضاء « أكاديمية » أمستردام وتوفي بباريس [٢] .

— ٣ —

ومع كل ذلك فإن هذه المؤلفات التي تحتفظ بقيمة مادتها العلمية الى اليوم، لا تزال مجهولة لدينا نحن العرب وبحاجة إلى جهود علمائنا العلمية ، ونشرها وفق ما تمليه علينا الأمانة العلمية والأدبية لهذا التراث العظيم الذي وصفه كراتشوفسكي (بأنه يحتل مكانة مرموقة في تاريخ الحضارة البشرية جمعاء ، فهي تصور لنا بدقة كبرى طبيعة الأوضاع الملاحية الأوقيانوسية في النصف الثاني من القرن الخامس عشر ، وذلك في المجال البحري الممتد بين ساحل

(١) تاريخ الادب الجغرافي ، ٢ (٥٦٨ – ٥٦٩) .
(٢) «الاعلام» ، الزركلي ، ج٢ ص (١٠١) .

افريقية الشرقي ابتداء من رأس الرجاء الصالح بالتقريب ، وبين ميناء الزيتون الشهيرة بالصين ، وهو يشمل البحر الاحمر والخليج العربي وجميع جزر المحيط الهندي وأرخبيل آسيا الشرقية باستثناء الفيلبين واليـــابان وحدهما . والى جانب هذا فهي تمثل أهم مصدر للمعلومات الجغرافية التي كانت معروفة في العصور الوسطى المتأخرة عن البحار الجنوبية ، ويمكن اعتبارها إلى حد كبير جمعاً للمعارف التي وجدت تحت تصرف جميع ملاحي بحر الهند بمـــا فيهم العرب والزنوج والهنود الغربيون والشوليان والاندونيزيون بل وحتى الصينيون وعلى هذا فهي تمثل أهم مصدر لتاريخ الملاحة والتجارة في البحار الجنوبية في الفترة السابقة للفتح البرتغالي مباشرة . وقد أثبتت المصادر البرتغالية أن أقدم مادة سجلتها في هذا الشأن تحمل آثار النفوذ العربي بوضوح ، أضف إلى ذلك أن بعض الاصطلاحات الفنية البرتغالية ليست سوى ترجمة صرفة لمثيلاتها العربية ، ويضيف كراتشوفسكي : واذا كان تأثير أدب الجغرافيا الملاحيــة العربية على أهل الغرب في القرنين الخامس عشر والسادس عشر جلياً بهـذا القدر فقمين أن يكون تأثيره على أهل المشرق أوسـع ، ويمكن تتبع هذا بصورة خاصة على الجغرافيا الملاحية في الأدب التركي التي مرت في القرن السادس عشر بفترة من الازدهار والانتعاش تدين بها ليس قليلاً الى هـــذه المصنفات العربية .

— ٤ —

ولقد كان من أسباب هذا التجاهل — إن لم يكن — إهمالاً ، أن عز على الباحث أن يجد طرفاً من أخبار هذا الربان العالم ، مما يعد نقصاً في حق حضارتنا الفكرية والعلمية . ففي مصادرنا العربية ، وبعد تتبع لها ، لم نجد إشارة عن المهري تعزز فينا عزيمة البحث والإعتداد بمصادرنا ، فهي وإن لم تكن المنبع الأول لما نكتب فيه عن جوانب حضارتنا فلحماية هذه الجوانب من أن تهدم ، ولا خير فيمن لا يصون حماه بعد أن شيده .

ولهذه الأسباب كان المجال مفتوحاً لبحثنا هذا أن يكون رائداً في موضوعه بلغته ، فـــلا تثريب عليه ان اعتوره نقص أو شط به قصر ، مع التقصي والحرص اللذين كانا عنوان هذا البحث .

الأصل والمنشأ :

لم يتضح حتى الآن – بالتحديد – متى ولد سليمان بن أحمد بن سليمان المهري المحمدي . ويعتقد أمير البحر التركي سيد علي، وهو ممن انتفع بمؤلفات المهري في إعداد كتابه « المحيط » أنه لم يكن في عداد الأحياء سنة ٩٦١ هجرية (١٥٥٤ م) وعلى هذا التاريخ اعتمد فيران في مقدمته لرسائل المهري التي نشرها بالتصوير الفوتوغرافي [١] .. ولا مشاحة إذا ما اعتبرنا هذا التاريخ أساساً نعتمد عليه في معرفة ميلاده التقريبي .

والمهري أتم كتابه العمدة المهرية سنة ٩١٧ هجرية (١٥١٠م) فيكون قد عاش بعد تأليفه لكتابه هذا أربعاً وأربعين سنة ، ومن الجائز أن يكون قد عاش قبل تأليفه لهذا الكتاب أربعين سنـــة ، وعلى هذا الافتراض يكون ميلاده سنة ٨٧٧ هجرية (١٤٧١م) تقريباً .

وينتمي سليمان المهري الى قبيلة مهرة بن حيـدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، وتمتد مساكن بني مهرة على طول الساحل الجنوبي للجزيرة العربية حتى عُمَان، ويحدده ياقوت الحموي بمسيرة شهر واحد وطوله أربـع وستون درجة، وعرضه سبع عشرة درجة وثلاثون دقيقة في الاقليم الأول من ناحية الشِّحْر.

وقد امتدت مساكن بني مهرة حتى جزيرة سُقُطْرَى ، فجاوروا فيها قوماً من الوثنيين يعتقد الهمداني انهم من الروم ، وأن كسرى انزلهم بجزيرة سقطرى ، ولكنه يعود فيستشهد بأهل عدن الذين يؤكدون أنه لم يدخلها أحد من الروم ، غير أن أهلها الرهابنة فنوا فسكنها بنو مهرة ، وقوم من الشُّراة ، وقد ظهرت فيها دعوة الاسلام [٢] .

---

(١) الادب الجغرافي ص ٥٨١ (الترجمة العربية) صلاح الدين عثمان هاشم .

(٢) صفة جزيرة العرب ـ الهمداني ص ٥٣

وبقي المهريون بجزيرة سُقطرى بعد ذلك حتى سنة ٨٩٤ هـ ، وكانت السلطة فيها بيد محمد بن علي بن عمرو بن عفرار ، وابن عبد (رب) النبي السليماني الحميري ، وكلاهما من مشائخ مهرة [١] .

وبينما تنقطع عنا أخبار بني مهرة التي شحت بها المصادر التاريخية ، نجد ابن ماجد وهو من المعاصرين لبني مهرة في ذلك التاريخ يسرد لنا بالتفصيل اخبار المهريين في جزيرة سقطرى ويذكر اخباراً طريفة على درجة من الأهمية وفي ذلك يقول : « إن بني مهرة بنوا فيها – في جزيرة سقطرى – حصاراً وحكموا على بعض أهلها وسخروهم ، يأخذون من الرجل مَنٌ سمن ومن المرأة شَمْلة من نسيج بلدهم ، وكان قد ملكها في زمان العباسيين رجل من العجم فاحتالوا عليه أهلها وأسكروه هو وأصحابه وقتلوهم ، وقد قتلوا أحمد بن محمد بن عفرار الذي تولى عليهم بعد موت أبيه ، فجاء أعمامه وقبيلته وأخذوا بثأره وسخروهم وولوا عليهم ابن عبد (رب) النبي ، فمن ذلك قالوا : إنها شؤم على من ملكها . وهم قوم وطيئين الجانب (أي سكان سقطرى) إذا دخل عليهم الغريب يعرضون عليه الماء والزاد ، ويعرضون عليه ثيابهم ونساءهم ، وحاكمة عليهم امرأة ، واما تزويجهم بيد قسيس النصارى الذين يسكنون الكنائس ، ويقيمون بهـا بمشورة تلك الامرأة ، فانقضى ملكها في عصرنا وضعف ، وما ملكها المهرة إلا أنهم يريدونها لعاقبة أمرهم يجتمعون فيها لخوفهم وضعفهم من سلاطين حضرموت وغيرهم ، وكان محمد بن علي بن عمرو قد استشارني فيها سنين فلم اطمه في ذلك ، فلما تولى على المهرة صرف المال وملكها ، فلما مات وأقامت قبيلته مكثوا فيهـا سنين ، وشعاوت ملوك أهل الشحر مخرجين منها مدة ثلاثين سنة ، فعاونوهم أخوالهم المهرة على الشحر وأخذوها ، وتولى عليهم محمد بن مبارك بن فارس بعد أن حاصرهـا مدة ثلاثة أشهر كاملة ، وجاءوا فأخرجوهم من حصار الشحر الى بلادهم حضرموت وكان عليها حينئذ بدر بن محمد الكثيري ، فخرجوا فأجاروهم ومن عنده

---

(١) الفوائد في أصول علم البحر والقواعد ، شهاب الدين أحمد بن ماجد (مخطوط) ورقة ٧٩ ب : نسخة الظاهرية بدمشق .

في عام أربعة وتسعين وثمانماية ، وفي هـــذا التاريخ جزيرة سقطرى للمهرة مشتركين فيهـــا بني سليمان وبني عفرار ، وهم بطن من بطون المهرة وبني زياد [١] . انتهى .

مما ذكره ابن ماجد عن بني مهرة ، نقف على الحالة التي كان فيها سليمان المهري موجوداً ، ومن ذلك يتضح أنه نشأ في ذلك الجو فتمرس في فنون البحر والقيادة فيه ، وقد أغرب المهري حينما جاء على تعريف جزيرة سقطرى في كتابه « العمدة المهرية » فلم يذكر شيئاً عن قبيلته في هذه الجزيرة مع أنه كان أعلم الناس بها ، في الوقت الذي ذكر أن بها نصارى [٢] . وقد تكون الروح العلمية التي سيطرت على كل ما كتبه السبب في ذلك ، وعدم تطرقه لأخبار ثانوية يعتبرها خارجة عن موضوع كتابه .

الثقافة ومحيط التجارب :

عرف عن المعلم سليمان المهري أنه ربان ماهر ، ومؤلف صرف علمه لفنه دون الخروج منه الى أي مجال آخر ، ومن هنا أضحت حياته العامة مجهولة لولا ذلك الاسم المسلسل الذي ينتهي بالاسم الخامس .

واذا ما بحثنا عن مناهل ثقافة المهري ، فإننا نجد أن اتصال سكان بلاد الشحر وسواحل الجزيرة العربية ، وجزرها الجنوبية ، قد مهد له اكتساب مهارة في الملاحة ، تبدو أصولها واضحة في مادته العلمية .

فتبدو ثقافته خليطا من التجارب الملاحية المتعددة ، فهو يشير إلى « معالمة البحر الهندي وهم العرب والهرامزة وأهل الهند والشوليان (سكان ساحل كروماندل) والزنوج والمغاربة (معالمة المغرب) والفرنج والروميين » .

ومع هذا فانها بقيت عربية صرفة ، حيث اقتصرت على المذهب الشرقي وحده ، ولا يوجد أي أثر للنفوذ البرتغالي عليهـــا ، رغماً من أن نشاطه

---

(١) المصدر السابق ، ورقة ١٨٠

(٢) العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية ، ورقة ٢٣ (النسخة الباريسية) .

الملاحي وقع في عهد السيطرة البرتغالية ، ويفسر ذلك بأن النفوذ العربي بقي قوياً على البرتغاليين الذين تعرفوا على التجربة العربية في الملاحة منــذ لحظة دورانهم حول رأس الرجاء الصالح . من هنا كان أقدم ما دونوه في هــذا المجال يحمل آثار النفوذ العربي بوضوح،أضف إلى هذا أن بعض الاصطلاحات الفنية البرتغالية ليست سوى ترجمة صرفة لمثيلاتها العربية [1] .

ومجموعة مؤلفات المهري التي بين يدينا ، تشهد له ببراعته العلمية في علم الملاحة البحرية والفلكية ، ووصف الطرق الملاحية التي سلكها ، وقياسات الجزر التي قاسها عن خبرة وتجربة .

وهو في ذلك وإن بدا واضحاً اعتماده على مؤلفات معلمه أحمد بن ماجد ، فانه لا يسجل من ذلك الا ما قام فعلاً بالتحقق من صحة تجربته .

بين المهري وابن ماجد :

المقارنة هنا تقوم أساساً على توضيح مايتميز به كل واحد منهما، فتكون عوناً في فهم حياة المهري ، وفي هذا الصدد نجـد تقارباً واختلافاً بين كل منهما ، فكلاهما ربان ولقب بالمعلم ، غير أن ابن ماجد لقب بألقاب أخرى منهـا أسد البحر ، وشاعر القبلتين ، وكلاهما صنف مؤلفات في علم البحر والفلك وفي ذلك يبدو ابن ماجد أطول باعاً من زميــله المهري ، اذ توسع فيما كتبه ووضع مؤلفاته شعراً ونثراً ، وامتاز بأراجيزه لسهولة عبارتها على البحارة ، بينما وضع المهري مؤلفاته نثراً ، تميزت بأسلوبها العلمي المغلق ، لذلك امتاز ابن ماجد بالوضوح في مؤلفاته ، فنعتبر مؤلفه « الفوائد في أصول علم البحر والقواعد » ، كتاب أدب وتاريخ وعلم ، وقــد لمس كراتشوفسكي هذا المستوى فقال : (ان مصنفات المهري تبدو قاحــلة وفقيرة اذا ما قورنت بمصنفات ابن ماجد من وجهة نظر الاطلاع الأدبي والمستوى الثقافي العام) [2]

---

(١) كراتشوفسكي ـ ٢ / ٥٨١

(٢) نفس المصدر ـ ٢ / ٥٨٠

وما من شك في أن المهري اعتمد على ما كتبه ابن ماجد ، وقد صرح بذلك مرتين في كتابه « العمده المهرية » [1] ويكاد يكون اعتماده واضحاً في الباب الثالث من كتابه « المنهاج الفاخر في علم البحر الزاخر » ، عندما يذكر صفة الجزر الكبار المعمورة المشهورة ، كان ابن ماجد قد كتب عنها وصفاً ممتازاً في « الفوائد » ، ومما قاله عن جزيرة سقطرى : أنهم شؤم على من ملكها[2] ، والمهري يقول : (جزيرة سقطرى يقال إنها شؤم على من ملكها) [3] .

وقد وضع ابن ماجد أربعين مؤلفاً ، عرفنا منها خمسة وعشرين مؤلفاً ، أما المهري فقد وضع أربعة مؤلفات ورسالة واحدة، وأسلوب أحدهما يشابه اسلوب الآخر ، حتى لكأن تأثر المهري بابن ماجد يبدو أكثر وضوحاً في هذه الناحية من غيرها .

ويمتاز ابن ماجد بتجاربه التي خرج منها بقواعد جديدة في علم الملاحة البحرية والفلكية كتثبيب الإبرة المغنطة فوق سن من الوسط لتتحرك حركة حرة فوق قرص وردة الرياح ، بعكس المهري الذي لم يحقق من خلال تجاربه قواعد جديدة في مجال تخصصه . وهو يصل إلى نفس النتيجة التي توصل اليها ابن ماجد قبله ، وهي أن المعرفة بالشؤون البحرية إنما تقوم على أساس مزدوج من سلامة التفكير والخبرة العلمية . وفي ذلك يقول : أصل علم البحر إنما هو مستخرج من نظرية العقل مع كال التجربة ، وهما أصلان له . ويضرب لذلك أمثلة لما يستخرج بالعقل ، وما يحقق بالتجربة ، وينتهي من ذلك إلى القول :

(فإن قال قائل: أي العلمين أصح العقـلي أم التجريبي ؟ قلت : في بعض التجريب وفي بعض العقل، فبعض العقليات أصح من بعض التجريبات ،وبعض التجريبات أصح من بعض العقليات ، وهذا البحث من أعلى المراتب لأنه يحتاج لتميز العقليات من التجريبات).

---

(١) الفوائد ، ورقة ٧٩ ب (ظاهرية) .

(٢) ورقة ١١٦ ، ١٤١ (النسخة الباريسية) .

(٣) المنهاج الفاخر ، ورقة ١٧٤ .

ومع ذلك فإن علينا أن نقول إن في تاريخنا الحضاري في علم الملاحة البحرية والفلكية إثنان لا ثالث لهما : شهاب الدين أحمد بن ماجد النجدي وسليمان بن أحمد المهري ، ومن حسن حظ تاريخنا أن بقيت مؤلفاتهما حتى زماننا هذا لتبقى خالدة تسد ثغرة فيه .

مؤلفاته :

مؤلفات المهري التي عثر عليها حتى الآن خمسة ، والنسخة الفريدة من هذه المؤلفات توجد في المكتبة الأهلية بباريس تحت رقم (٢٥٥٩) ، وقد قام بنشرها بالتصوير الفوتوغرافي غبريل فيران في عام ١٩٢٥م ويضم ما نشره فيران إلى جانب مؤلفات المهري ثلاثة مؤلفات أخرى لابن ماجد هي :

١ – الأرجوزة المسماة بالسبعية. ٢ –القصيدة. ٣–القصيدة المسماة بالهدية.

أما مؤلفات المهري فأولها :

١ – رسالة قلادة الشموس واستخراج قواعد الأسوس .

وتقع في ثلاث ورقات في علم التواريخ للسنوات : القمرية ، والشمسية والرومية ، والقبطية ، والفارسية . وتحتوي هذه الرسالة على مقدمة وستة فصول :

المقدمة : في معرفة أيام السنة القمرية .

الفصل الأول : في معرفة استخراج أس السنة القمرية ، وهو معرفة تعيين مطلع السنة باليوم والشهر .

الفصل الثاني : في معرفة استخراج السنة الشمسية .

الفصل الثالث : في معرفة السنة الشمسية ويومها ابتداء من برج الحمل ، ومعرفة فصول السنة من بروج السنة الشمسية .

الفصل الرابع : في معرفة استخراج اس السنة الرومية وعدد كل أيام كل شهر من شهورها .

الفصل الخامس : في معرفة أس السنة القبطية وشهورها .

الفصل السادس : في معرفة أس السنة الفارسية ..

٢ ـ تحفة الفحول في تمهيد الأصول :

تقع هذه الرسالة في سبع ورقـــات في معرفة بعض الشؤون البحرية والفلكية ، قال في مقدمتها : (هذا كتاب لطيف حجمه صغير كثيرة تحفه ، وهو سبعة أبواب وخاتمة) :

الباب الأول : في صفة الأفلاك والكواكب .

الباب الثاني : في تجريب الدورة ، وهي على اثنين وثلاثـين جزءا كل جزء يسمى خناً من أقسام البوصلة ويحتوي هذا الباب على فصلين.

الباب الثالث : في معرفة الأزوام ، والزام قياس المسافات المطلقة من البحر وهو يعادل مسيرة ثلاث ساعات بالشراع أي حوالي أثني عشر ميلا بحرياً .

الباب الرابع : في معرفة الدير وبيانها على الديرة . وهي طريق ملاحي على البوصلة . وبيان الآفات الخمس التي تفسد الآلة ـآلة الدير ـ.

الباب الخامس : في القياسات واصطلاح أهل البحر ، وهو ارتفاع الكواكب وانحطاطها على الأفق ، لتعيين الأمكنة .

الباب السادس : في المسافات بين الرؤوس .

الباب السابع : في الرياح وأصلها .

وينهي رسالته هذه ببيانيوضح فيه أن التجربة أصل في هذا الفن، كما أن العقل أصل فيه ، ويلحق الخاتمة بتنبيه يؤكد فيه أن أخـذ علم كل مكان من أهله أصح من غيره . وهذا من دلائل التجربة ، أما إذا ما أردنا أخذ علم من الغير ، فيشترط المهري أن يكون هذا العلم مُجرّبـــاً وهو ممن يعتبر به في هذا الفن .

٣ ــ العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية :

من أهم مؤلفات المهري إذ جمع كل تجاربه وخبرتـه ، وجمع فيه (تجربة المحققين الثقات) ويقول في مقدمته :

« الحمد لله حق حمده ، والصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله ، وعلى آله وصحبه التابعين لرشده ، لما رأيت علم البحر قليلة تآليفه المحققة ، بل في وريقات ملفقة ،وأراجيز متفرقة ، فعن لي أن أؤلف كتاباً يكون ضابطاً لمسائله الأصليات والفرعيات ، من الإختلاف الكائن في الديرات والقياسات بالتجربة المتواترة والنتخات والجارات ، مما عاينته ، ومما لم أعاينه فمن تجربة المحققين الثقات ، مع صحة قرينة الأصل لقانون التدريج في الفرعيات ، وجعلته على سبعة أبواب وسميته بالعمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية .وقد قسم المهري كتابه إلى سبعة أبواب – كما يقول – هي :

الباب الأول : في معرفة الأصول في فن البحر . وقد قسم هذا الباب إلى ثلاثة عشر فصلاً هي :

الفصل الأول : في معرفة الأخنان في اصطلاح أهل البحر . والخنُ جزء من أجزاء الدائرة الأفقية الإثنين والثلاثين خناً .

الفصل الثاني : في معرفة أبعاد الكوكب المستعملة عند الجمهور ، وعن معدل النهار من الدرج .

الفصل الثالث : في معرفة مدارات الكواكب من الدرج ، ودورة الكرة ٣٦٠ درجة .

الفصل الرابع : في معرفة غاية ارتفاع الكواكب في أي مكان .

الفصل الخامس : في معرفة اعتدال الكوكب في خشبة واحدة .

الفصل السادس : في معرفة الأصبع – يعادل درجة واحدة ٣٧ دقيقة – ويمكن الوقوف على مزيد من التفاصيل عن ذلك وغيره من المصطلحات البحرية في القسم الثاني من هذا البحث .

الفصل السابع : في الزام – وهو وحدة لقياس المسافات المطلقة من البحر وتعادل مسيرة ثلاث ساعات بالشراع ، أي حوالي ١٢ ميلاً بحرياً ، وأصل هذه الكلمة هندية – .

الفصل الثامن : في معرفة دليل بطلان الأزوام الموضوعة بين الأخنان .

الفصل التاسع : في معرفة دليل بطلان الترفات .

الفصل العاشر : في معرفة أصل القياس .

الفصل الحادي عشر : في معرفة المسافة عند أهل البحر .

الفصل الثاني عشر : في معرفة تقسيم أنواع الحساب .

– **الباب الثاني** : في معرفة أسماء الكواكب وما يتعلق بها . وهذا الباب مقسم إلى ثلاثة فصول هي :

الفصل الأول : في معرفة عدد الأصابع القطب الشمالي والجاه والفرقد والميخ (؟) .

الفصل الثاني : في معرفة دورة الفرقد على القطب .

الفصل الثالث : في معرفة صاحب الدرك .

– **الباب الثالث** : في معرفة دير فوق الزنج وتحت الزنج – وهي في اصطلاح المهري وابن ماجد : المناطق الواقعة شرق رأس كمران – .

الفصل الأول : في معرفة دير رؤوس الجزر البحريات من بر العجم .

الفصل الثاني : في معرفة دير بر (العرب) كأرض الجزر والأحقاف والأطواح وسواحل عمان وجزر جرون .

الفصل الثالث : في معرفة دير بر العجم .

الفصل الرابع : في معرفة دير بر الزيالع والمرجان والسومال (الصومال) والريم والسفال .

الفصل الخامس : في معرفة دير المطالق .

الفصل السادس : في معرفة دير بر تحت الزنج .

الفصل السابع : في معرفة دير بر السيام .

الفصل الثامن : في معرفة دير الصين .

الباب الرابع : وهو معرفة الجزر وديرهن .

الفصل الأول : في جزيرة القمر .

الفصل الثاني : في جزيرة زرين — وهن سبع جزر جنوبيات ، ويقول المهري: (اعلم أن كل مجنب مجهول !) .

الفصل الثالث : في جزيرة سقطرى — سنورد كل ما ذكر عنها في القسم الثاني من هذا البحث .

الفصل الرابع : في جزر الفال .

الفصل الخامس: في جزر الذيب — وهن آخر الجزر المعمورات من الجنوب عند المهرى، ويقول : (ولها شعب عاري !) .

الفصل السادس : في جزيرة سيلان .

الفصل السابع : في جزيرة اندمان وجزر ناج باري .

الفصل الثامن : في الجزر البحريات على بر السيام .

الفصل التاسع : في جزيرة شمطرى .

الفصل العاشر : في جزيرة جاوة .

الفصل الحادي عشر : في الجزر الجنوبيات الشرقيات .

الباب الخامس : في معرفة القيـــاس على البراري المشهورة — وهو في عشرة فصول — .

الفصل الأول : شروط القياس .

الفصل الثاني : قياس بري العرب والعجم وجزرهما .

الفصل الثالث : قياس الجاه في بري العرب والهند .

الفصل الرابع : قياس الفرقدين والنعش على بري الزنج والسفال .

الفصل الخامس : قياس تحت الزنج الشرقي والغربي .

الفصل السادس: قياس جزيرة سيلان .

الفصل السابع : قياس جزيرة سقطرى .

الفصل الثامن : قياس جزيرة جاوة .

الفصل التاسع : باشيات المنازل الثمان والعشرين في جميع السنة .

الفصل العاشر : قياس الكواكب المشهورة عند الجمهور .

الباب السادس : خاص بمعرفة المواسم على أيام النيروز .

الباب السابع : يصف في هذا الباب الطرق البحرية في البحار الجنوبية الشرقية ، ويبدأ بتعريف جزر (البحر الكبير) .

الفصل الأول : معرفة جزر (بحريات) بر العجم .

السفر من سيبان إلى جدة – السفر من سيبان إلى سواكن – السفر من سواكن إلى عدن – السفر من زيلع لجوزرات – السفر من بربرة لجوزرات – السفر من عدن لجوزرات – السفر من قشن لجوزرات – السفر من خلفات لجوزرات – السفر من ظفار إلى جوزرات – السفر من قلهات لجوزرات – السفر من عدن إلى منيبار (مليبار) – السفر من عدن إلى هرموز – السفر من الديو إلى المشقاص – السفر من الديو إلى الشحر وعدن – السفر من مهايم وشيول ونواحيها إلى بر العرب – السفر من هذه البنادر إلى آخر موسم – السفر من الديو إلى الذيب – السفر من دابول إلى الذيب – السفر من الديو إلى مسكت – السفر من كنباية إلى عدن – السفر من دابول إلى عدن – السفر من جوة سندابور إلى عدن – السفر من هنور وبادقلا إلى عدن – السفر من قاليقوط إلى جردفون – السفر من الديو إلى ملاقة – السفر من الديو إلى بنجالة – شاتي جام – السفر من ملاقة إلى عدن – السفر من شاتي جام إلى بر العرب – الخاتمة في العشر المحذورات .

كتاب المنهاج الفاخر في علم البحر الزاخر :

المؤلف الرابع للمعلم سليمان المهري ، وهو في هذا الكتاب ، يكرر ما قدمه لنا في المؤلفات السابقة وإن اختلف في السياق وطريقة العرض ، وهو هنا يقدم لنا وصفاً للجزر التي سبق أن وصفها في كتابه العمدة المهرية ، ونجد نفس الوصف لبعض الجزر لدى ابن ماجد .

ومن معاد القول أن نقول : أن ابن ماجد والمهري يقدمان لنـــا مادة لم يسبق لنا الاطلاع عليها قبل الاطلاع على مؤلفاتهمـــا ، وهذا ما يدفعنا إلى سرد بيان مفصل لمحتويات هذه المؤلفات ، وفي يقيننا أنها بحاجة إلى دراسـة عميقة تلقي مزيداً من الضوء على قيمتها وتسهل سبل الانتفاع بها في محيــط الدراسات البحرية والفلكية .

أما مواد هذا الكتاب فهي في سبعة أبواب وكل باب مقسم إلى عدة فصول، وللأستاذ كراتشوفسكي ملاحظة طريفة على الطريقـــة التي يوزع بها المهري مادة مؤلفاته ، تقول هذه الملاحظة : (يلوح أن الرقم (سبعة) كان محبباً إلى سليمان ، وواحد فقط من مصنفاته وهو رسالة غير كبيرة في حســاب التقويم القمري والشمسي والرومي والقبطي والفارسي ينقسم إلى ستة أبواب).

المقدمة في صفة الأزوام الموضوعة بين الأخنان، وفصل يسبق الباب الأول في الترفات .

الباب الأول : في معرفة الديرة .

الفصل الأول : في ديرة بر العجم كبر مكران والسند وجوزات وكنكن وتلوان ومنيبار .

الفصل الثاني: في دير بر السودان كالقيمة والمرجان والسومال والزنج والسفال.

الفصل الثالث في ذكر بر سويبان كبر الشوليان والنات ووريسا .

الفصل الرابع : في دير بَرِّ بنجالة والسيام وملاقة .

الفصل الخامس : في دير برّ فهنج وماه (صين) والصين .

الفصل السادس : في دير القسم الثاني وهو دير المطلق الديرة من جوريـا لمامي سقطري .

الفصل السابع : في دير مطلق كم هرموز (وهو ثلاثة سطور) .

الفصل الثامن : في مطلق بر الهند .

الفصل التاسع في دير مطالق سيوباد (كذا) .

الباب الثاني : في القياسات على البرور المشهورة المعمورة .

الفصل الأول : في قياس الجاه .

الفصل الثاني : في قياس الفرقدين .

الفصل الثالث : في قياس النعش .

الفصل الرابع : في الباشيات على المنازل الثمان والعشرين .

الفصل الخامس: في ذكر قياسات الكواكب المشهورة بالصحة عند الجمهور.

الباب الثالث : في صفة الجزر الكبار المعمورة المشهورة، والتعريف الأول بجزيرة القمر ٢ - جزر زرين ٣ - جزيرة سقطرى ٤ - جزر الفالات ٥ - جزر الذيب ٦ - جزيرة سيلان ٧ - جزر اندمان وجزر ناج باري ٨ - جزر تاكوا التي يجري برالسيام (كذا) ٩ - جزيرة شمطرة ١٠ - جزيرة جاوة ١١ - بعض الجزر الجنوبيات الشرقيات .

الباب الرابع : في المسافات ، ويبدأ من جاه احد عشر .

الفصل الأول: في ذكر مسافات تحت الريح ابتداء من الجاه خمسة عشر .

الفصل الثاني : في ذكر المسافة على قياس الفرقدين .

الفصل الثالث : في ذكر مسافة بعض المواضع .

الباب الخامس: في معرفة الرياح والمحذورات الفصل الأول في الطوفانات (كذا) الفصل الثاني في المحذورات.

الباب السادس : في معرفة علامات قرب البرورمن أرض الهند . الفصل الأول : في معرفة علامات قرب بر العرب وبر الصومال .

الباب السابع : في معرفة حلول الشمس والقمر في البروج والمنازل

الفصل الأول: في حلول الشمس والقمر في المنازل . الفصل الثاني : في الساعات .

الخاتمة في معرفة بعض الاسفار سيوباد (؟) السفر من الديو إلى مالقه . السفر من ملاقة للذيب : السفر من الذيب إلى منصور ، السفر من مرطبن وتناصرى ، السفر إلى بنجالة .

كتاب شرح تحفة الفحول في تمهيد الاصول :

الكتاب الخامس للمهري ، وهو شرح للكتاب السابق (تحفة الفحول في تمهيد الاصول) ويقول المهري عن كتابه هذا انه الأول في بابه اذ لم يُسبق اليه ، وقد ألفه لينتفع به من له اشتغال بالكتاب الأول – تحفة الفحول – ويعتذر في مقدمته عن النقص الذي قد يحدث في الكتاب والسبب في ذلك كما يقول : (ألفته بعجل مع تشويش الخاطر ، والثاني لم اسبق لمثله فتكون مادتي من ذلك السابق) ومع كل ذلك يقول : انه استخرجه من علوم شتى ، وجمعه لنفسه ولسائر الاخوان ، ومع انه استقى مادته مما سبقه من المصنفات وبالاخص مصنفات ابن ماجد، فان مؤلفه هذا لا يؤخذ على أنه الأول في بابه كما قال مؤلفه ، إلى جانب هذا فانه يكرر نفسه في هذا الكتاب . وقد نعتبره شرحاً وافياً للكتاب السابق ويبلغ فيه القمة بالنسبة لبقية مؤلفاته ، فهو خلاصتها .

والكتاب في سبعة ابواب يعرض فيها وصفاً للافلاك والنجوم والمغناطيس وبيت الإبرة ، وتقسيم الدائرة إلى اثنين وثلاثين جزءاً وهي (الأخنان) ويحدد لفظ (الزام) مع وصف استعماله ، ثم يُفرد باباً للطرق البحرية الساحلية والتي في عرض البحر ، فباباً خاصا يحدد ارتفاع النجوم ، ويعرض للمسافات بين الموانيء ، ويختتم الكتاب بالحديث عن الرياح الموسمية في المحيط الهندي ..

ونورد الآن تفصيلاً لمواد الكتاب كما أوردها المؤلف :

الباب الأول: في صفة الافلاك والكوكب. **الباب الثاني**: في تجزية الدورة، **الباب الثالث** : في الازوام ، **الباب الرابع** : في البدير ، **الباب الخامس** : في القياس ، **الباب السادس** : في المسافة ، **الباب السابع** : في الرياح .

وبعد .. هذه مؤلفات المعلم سليمان المهري ، قصدنا من استعراضها الوقوف على مكانته ولكي تكتمل دائرة البحث فإننا سندرس في القسم الثاني من هذا البحث ، أبحاث المهري وما وصل اليه في محيط تجاربه .

الرياض — عبدالله علي الماجد

- ١٤ -

عمر المختار ـ أسد الجبل الاخضر

أفلت شمس العرب ، وزال حكمهم ، وتقلص ظلهم عن قارة أوربا التي ظلوا عدة قرون أساتذة ومعلمين ، وهداة ومرشدين لها ، فلقد أبعدوا عن جزيرة صِقِلِّيَة وجنوبي إيطاليا عام ١٠٦٠ م . كما أجلوا نهائياً بالقتل والنفي والتشريد أو التنصير عن اسبانيـــا (الأندلس) على يدي فرديناند وإيزبيل زوجته اللذين احتلا مدينة « غرناطة » آخر مدينة للعرب من تلك المملكة الزاهرة التي أضاعوهابخلافهم وقتالهم لبعضهم وترفهم وانحلال اخلاقهم فطفقوا يخرجون من مقاطعة بعد مقاطعة ، ويفقدون مدينة بعد مدينة ، حتى انحازوا أخيراً إلى «غرناطة» هذه التي تجمع فيها من هرب من مدائن الأندلس ومن جزيرة «صقلية» ومن كل مراكزهم التي أسسوهـــا في جنوبي أوربا ، ولم توقظهم المصائب من غفلتهم ، ولم تفتح عيونهم كثرة العبر لشقوتهم ولم يربط بين قلوبهم آلاف الضحايا وضياع أموالهم ومزارعهم وأنهارهم ، فانتهى أمرهم وعفا رسمهم عام ١٤٩٢م بعد أن قاتل الإبن أباه .[١]

وآن لعجلة الزمان أن تدور دورتها فترفع أقواماً وتخفض آخرين ، وآن للمغلوبين بالأمس اللائذين بقمم الجبال وأطراف الكهوف أن يسودوا الأرض ويملكوا المعمورة ، فلقد اتحدوا وحدة تلاشت فيها القبلية والإقليمية اللتين ابتـلى بهما قومنا ،فأضاعوابسببهما عزهم في الماضي،ولا يزالون بسببهما يعجزون عن نيل ما تحصل عليه أمم الأرض في أيامنا هذه .

(١) ثار على ابن الحسن « علي » آخر ملوك غرناطة ولداه أبو عبد الله « محمد » وأبو الحجاج « يوسف » .

ومع الوحدة وبسببها ارتفع شأن العلم والعلماء عندهم ، وبسبب الاقليمية والعنجهية القبلية راج سوق الخرافات لدى أمتنا ، فسبحان رابط الأسباب بالمسببات، والقاضي على كل قبيل بما جنته وتجنيه يداه . إن الإسبان والبرتغاليين اشرأبت أعناقهم بعد انتصارهم إلى أرض المغلوبين المطرودين وتجارتهم وأموالهم بعد أن عرفوا من فرقة قومنا ما عرفوا ، وخبروا في عجزهم وضعفهم ما خبروا ، فبنوا الأساطيل التي شرعت تجوب البحار والمحيطات شرقاً وغرباً وأسسو المستعمرات التجارية ، والمراكز البحرية وكانت البرتغال متفوقة على الاسبان حتى تمكن هؤلاء من اكتشاف العالم الجديد « أمريكا » فتنافستا وتسابقتا وعظم ثراؤهما لاتساع تجارتهما وارتفع شأنهما لوفرة ممتلكاتهما ، ولا تزالان حتى اليوم وقد ضعف شأنهما وزال عهد الاستعمار ذواتي مستعمرات في هذا العالم .

واستيقظت اوربا كلها، وحسدت أمم من تلك القارة هاتين الدولتين على اتساع تجارتهما ووفرة ثرائهما فقدمت إلى ميدان الاستعمار فرنسا وهولندة ثم أتت إلى هـذا الميدان بريطانيا فبزّت من سبقها وشأت جميع منافساتها ، كسفت شمس اسبانيا بعد أن أغرقت معظم أسطولها ، واضطرت البرتغال لأن تكون ذيلاً،وهولندا لأن تكون تابعاً ونازلت فرنسا في الهند فغلبتها وفي أمريكا فتفوقت عليها، ولكنها لم تستطع إذلالها بل ظلت تنازع سيدة البحار ثوب السيادة وصولجان الملك والإمارة، تختلفان وتكادان تقتتلان على المستعمرات ثم تتساومان فتتفقان على اقتسام أراضي النائمين الغافلين وهم لا يحسون ولا يدرون،ثم تنقض كل منهما على حصتها بعد أن أمنت شر منافستها لا تقيم لأهل الأرض وزناً لأنهم لا يقدرون على مقاومتها. ثم اتحدت الأمة الألمانية الكبيرة فخرجت آخر الليل تبحث عما ترك اللصوص من متاع تأخذه فلم تجد سوى بعض الجزر والرقع الضيقة فرضيت بها على مضض وسكتتت على غضب تتحين الفرص وترقب حوادث الأيام ، وتبني الأساطيل استعدادا لليوم الموعود فلما شعرت بذلك بريطانيا خشيت أن تقوى قوادم النسر فأعلنت عليها الحرب قبل أن تتم استعدادها فكانت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ .

وأخيراً جاء دور إيطاليا التي اتحدت بعد تخلص أجزائها من احتـلال جاراتها، وخرجت تركض لاهثة تفتش عن مستعمرات. فوجدت (أرتيريا) على ساحل أفريقيا واندفعت منها الى الحبشة فهزمها الأحباش هزيمة نكراء ووجدت في شمالي أفريقيا بلداً تركته الدولتان الكبيرتان لقلة ما رأتا فيه من من خيرات فلم تتعرضاله ولم يدخل في ميدان تنافسهما فقد كان معظمه صحراء مقفرة فاكتفت بريطانيا بمصر أرض القطن والخيرات وقناة السويس فاحتلتها عام ١٨٨١ م كما احتلت فرنسا الجزائر عام ١٣٨٠م وتونس ١٨٨١ م ومراكش عام ١٩٠٧ م وبقيت طرابلس الغرب وبنغازي تتبعان الدولة العثمانية الهرمة التي ضعف شأنها بعد عهد سلاطينها الكبار الذين كان آخرهم سليمان القانوني والتي أخذت تفقد كل يوم قسماً من أراضيها وبلداً من ممتلكاتها .

اتجهت أنظار الإيطاليين هؤلاء إلى ليبيا وسألوا الإنجليز والفرنسيين عن رأيهم فلم يجدوا لديهم معارضة بل لقد عقدت فرنسا معهم اتفاقاً عام ١٩٠١ أصبحت بمقتضى نصوصه برقة وطرابلس الغرب منطقة نفوذ إيطالية وأعلن في البرلمان الإيطالي « مجلس النواب » .. : أن الدول اعترفت بالوضع الممتاز الذي تتمتع به إيطاليا في طرابلس .

وما إن أطلقت «الدول» يدها في هذا البلد العربي حتى شرعت تمشي على هدي الأمم السابقة في مضمار الاستعمار فتوجد الذرائع والأسباب التي تتذرع بها لاحتلال البلاد .

شجعت مواطنيها على الهجرة إلى ليبيا وطرابلس. وأقامت المدارس لتعليم البنات والأبناء مجاناً ! خدمة للعلم وعطفاً على الانسانية المعذبة ! وبنت بجانب المدارس المشافي والمصحات لعلاج المرضى بدون مقابل، وأرسلت البعثات العلمية للبحث عن المعادن في الظاهر ولوضع المصورات والخرائـط الحربية خفية وسراً وأقامت مصانع ومعامل بنتها بناء الحصون والمعاقل ، وأسست عام ١٩٠٥ فرعاً لبنك « دي رومة » ومكتب بريد فتم لها بذلك معرفة أحوال البلاد صغيرها وجليلها والاتصال بالسكان قريبهم وبعيدهم .

لم تكتف بذلك ، بل التفتت الى الدولة العلية حاكمة هذه البلاد فرشت رئيس الوزارة فيها ابراهيم حقي باشا بالمال ، وما أسهل رشوته وشراءه عليها فقد كانت زوجه إيطالية كما كان رفاقه في شرابه ولعب الورق، وندماؤه ليله ونهاره أيضاً إيطاليين، فلبى لهم جميع طلباتهم: سحب قسماً من الجيش في ليبيا وأرسله إلى اليمن ، وأبعد الموظفين الأكفاء عنها لينتشر الفساد فيها ، ومن قبل هذا الوزير كانت الدولة التركية بعلمها بمطامع إيطاليا قد أرسلت قائداً كفئاً هو « رجب باشا » فمرن السكان على استعمال السلاح ووزع كثيراً من البنادق عليهم ، فأبطل رئيس الوزارة كل ذلك .

وظل سفير تركيا في إيطاليا يرسل التقارير يتلو بعضها بعضا محذراً ومنذراً مما تعده إيطاليا لغزو ليبيا وظل رئيس الوزارة سادراً في غيه .

وفجأة! وفي عام ١٩١١ أرسلت إيطاليا إنذاراً لتركيا بعزمها على احتلال طرابلس وبنغازي وقالت في إنذارها : إن الحكومة التركية تبدي عداء نحو الحركة الإيطالية الشرعية في طرابلس وبنغازي حتى أصبحت الحالة شديدة الخطورة بسبب التحريض ضد الرعايا الطليان ، لهذا فإن إيطاليا مضطرة لاحتلال طرابلس وبنغازي احتلالاً عسكرياً وتطلب من الحكومة التركية أن تصدر أوامرها حتى لا تصادف قواتها معارضة ولا تجد صعوبة ثم تتفق الحكومتان بعد ذلك على تقرير ما يلزم .

لقد نضجت الثمرة ، وآن للطليان أن يقطفوها وفي يوم ٣ أكتوبر ١٩١١ أطلق الأسطول الإيطالي على ميناء طرابلس قذائفه وبدأت الحرب التي لم تثبت لها تركيا عاماً واحداً وثبت لها الشعب الليبي بقيادة عمر المختار عشرين عاماً.

ضج المسلمون في جميع أنحاء المملكة العثمانية لهذا العدوان، وطالبوا بالقتال فاضطر الخائن المرتشي للاستقالة وأرسلت تركيا خيرة ضباطها إلى ليبيا «أنور باشا» و «مصطفى كمال» ولكن الحكومة التركية أعلنت بعد مفاوضات مع الطليان تخليها عن ليبيا وعقدت معهم معاهدة « أوشي » سنة ١٩١٢ م وتعهدت بموجبها بإجلاء جنودها عن تلك البلاد ورجا الليبيون الجنود المنسحبين من الأتراك المسلمين وقائدهم يومئذ عزيز المصري أن يتركوا لهم

أسلحتهم فأبوا مدعين بأن من العار على الجندي أن يترك سلاحه، ناسين أنه من العار على الجندي أن يسلم بلاده .

لقد حارب عمر المختار مع الجيش العثماني جنباً لجنب، فلما شرع هؤلاء في الانسحاب وطلب منهم - إن صمموا على الرحيل - أن يعينوه بترك أسلحتهم فأبوا محتجين بحجج واهية كاذبة فاضطر هذا المجاهد البطل أن يطلق النار على الذين لا يعرفون لهذه البلاد حقها عليهم ، جبوا خيراتها سنين طويلة وأزماناً غير قليلة ، فلما جاء العدو سلموها له وهربوا ، ثم أبوا أن يعينوا السكان بما لا يكلفهم شيئاً وهو بالنسبة لهؤلاء المجاهدين كل شيء ، في تلك الساعات الحرجة ، وسقط من رجال المختار ستون شهيداً في قتاله مع الأتراك .

هذا هو تاريخ أمتنا في عصرنا الحديث : يقتلك ابن دينك قبل أن يقتلك عدوك .

وارتحل الأتراك وثبت عمر المختار، وثبت الشعب الكريم يدافع عن شرفه وأرضه وعرضه، وأخذت إيطاليا تتفنن في أساليب القتل والتدمير وهتك الأعراض والاعتداء على المحرمات :

١ - في مدينة طرابلس أباح الجنرال « كانيفا » ناحية المنشية لجنوده ثلاثة أيام قتلوا خلالها من الأهلين ما بين أربعة وسبعة آلاف وهتكوا أعراض النساء . وذلك بعد أسبوع واحد من احتلالهم لطرابلس .

٢- في سنة ١٩٣١ احتلوا بلدة الكفرة في الجنوب فقتلوا من فيها من المجاهدين وفر النساء والأطفال فلحقوا بالفارين وأخذوا مائتي امرأة اعتدوا على شرفهن جهاراً نهاراً .

٣ - أغلق الإيطاليون آبار الماء بالاسمنت وأخفوا معالمها ليهلك سكان الصحارى عطشاً .

٤ - جمعوا أكثر من ثمانين ألفاً في معسكرات محاطة بالأسلاك ليمنعوا اتصالهم بالمجاهدين . وهكذا سجنوا شعباً كاملاً .

٤ – أنشأوا محكمة طائرة لتتنقل من مكان إلى مكان لمحاكمة الأسرى من المجاهدين محاكمة لها قضاة وليس لها قوانين ، تعد المشانق للأسرى قبل أن تسمع حجتهم وما حاجتها إلى سماع الدفاع عن النفس وهي لا تؤمن بالدفاع عن النفس ؟

كانت هذه المحكمة تنتقل بالطائرة إلى مكان الحادث وتعقد جلساتها في الهواء الطلق في الميادين العامة ، ثم تصدر أحكامها بالإعدام لا على المجاهدين فحسب بل على من يشتبه به بأنه قدم ماء أو طعاماً للمجاهدين .

٥ – ألقوا بعض المجاهدين من الطائرات على مشهد من أهلهم وكلما هوى شخص صفق ضباطهم تصفيق السكارى .

٦ – اغتصبوا الأرض من أصحابها وسكانها وأعطوها الطليان الوافدين فشردوا بذلك أصحاب البلاد فهاجروا إلى البلاد العربية مصر وسوريا والحجاز أو بقوا عبيداً وخدماً لدى مغتصبي أرضهم كما فعلت بريطانيا بأهل فلسطين إذ اغتصبت منهم أجود الأراضي وأخصبها مثل مرج ابن عامر ووادي الحوارث وسلمتها لليهود ثم أذاعت في العالمين أن أهل فلسطين باعوا أرضهم كذباً وزوراً . ومحاكمها – التي قضت بأن الأرض لليهود – شر محاكم عرفها التاريخ أما مجلس الملك أو الملكة الخاص في لندن الذي لجأ إليه سكان الأرض فكان مثالاً للظلم والكذب والافتراء .

٧ – في عام ١٩٢٣ قتلوا من أهالي جفارة وغيرها ألف رجل أمام نسائهم وأولادهم وشنقوا عشر سيدات من أهل هذه المنطقة عاريات أمام الناس وأبقوهن سبعة أيام على هذه الحالة .

٨ – نصبوا الاسلاك الشائكة على طول الحدود بين مصر وليبيا لمنع وصول المؤن وبعض المعدات التي كان افراد الشعب المصري يتبرعون بها لأخوانهم . ولكن الاسلاك الشائكة جعلت وصول أية مؤن صعباً ومتعذراً فقد أقاموا حرساً لهذه الاسلاك كما جعلوا فوقها طائرات استكشاف ليلاً ونهاراً .

وقد وقف الخديوي عباس حلمي موقفاً شائناً لا يقل قبحاً عن موقف الاتراك الذين رفضوا تسليم الاسلحة للمجاهدين .

يقول شكيب أرسلان : إنه حضر مجلساً في قصر هذا الخديوي دار فيه حديث بين شكيب ارسلان والشيخ علي يوسف بشأن طرابلس حاول فيه علي يوسف أن يعلن أن المصريين لا يمكن أن يستمروا على مساعدة الليبيين لأنهم رعية ثائرة على إيطاليا . وكان الخديوي ساكتاً لا يقول شيئاً تعلو وجهه حمرة الخجل فلما سمع شكيب ارسلان هذا غضب وقال : لا تساعدون أهل طرابلس فالله يغنيهم عنكم .

وقاموا للصلاة بعد هـذا الحديث فقرأ الامام : فلا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعاً . نعم العزة لله والذل للخونة اللؤماء !!.

لقد رشت إيطاليا هذا الخديوي بصفقة تجارية رابحة فباعهم اخوانه لأجلها لكنه لم ينل شيئاً لأن الانجليز حكام مصر يومئذ نسفوا تلك الصفقة التجارية، وباء الخديوي بالخسران المبين . وليته توقف عند حد منع المعونة عن الليبيين لكنه تعدى ذلك إلى ارسال وفد مصري إلى المجاهدين ليقنعهم بالصلح مع الطليان والتسليم لهم فعاد وفده بالخزي العار .

ذلك ما فعلته إيطاليا بأهل ليبيا وما أعانها عليه بعض الضالين فافنت منهم « ٥٧٠ » ألفاً نعم نقص عدد السكان نصف مليون خلال احتلال تلك الدولة المستعمرة لهذا الشعب .

وقد سارت الحرب الليبية بين إيطاليا ومجاهدي الشعب الليبي خلال المراحل التالية :

١ ــ كانت المرحلة الأولى قتالاً بين إيطاليا وتركيا ومع تركيا أهل البلاد يقاتلون تحت قيادة الجيش التركي فلما عقدت تركيا معاهدة « أوشي » سنة ١٩١٢ وانسحبت تركيا من البلاد قاد عمر المختار المجاهدين ضد جيوش إيطاليا.

٢ ــ صمد أهل برقة وطرابلس لجيوش إيطاليا وطائراتها واساطيلها

التي كثيراً ما قذفتهم بالقنابل من البحر خلال معاركهم حتى قيـــام الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ .

٣ — خلال الحرب العالمية الأولى عادت تركيا تدعو المجاهـــدين لمساندة حملتها التي جهزتها لغزو مصر ، وطرد الانجليز منها ، ولم يخيب المجاهدون رجاءها فلقد اتجهت جموعهم إلى الحدود المصرية. كأن عزائمهم القوية لا تكفي لحرب دولة بل لقتال دولتين . واشتبكوا مع القوات الانجليزية ، وشغلوا قسماً كبيراً منها عن جيش جمال باشا التركي الذي لم يحقق نصراً ، وفشل في عبور قناة السويس . ولقد هرب بعض الجنود المصريين الذين كانوا في خدمة الجيش الانكليزي في مصر ، وانضموا إلى اخوانهم المجاهدين الليبيين بقيادة الضابط المصري الشجاع صالح حرب وحارب الانجليز معهم .

ونقمت بريطانيا على الثوار الليبيين فحاربتهم وقاومتهم وأعانت إيطاليا عليهم .

٤ — بعد الحرب العالمية الأولى حيث غدا أهل ليبيا جميعاً في معتقل بعد أن أغلقت أبواب مصر وتونس وإفريقيـــا في وجوههم ، وبعد الانقلاب الفاشستي في إيطاليا ، ومجيء موسوليني إلى الحكم الذي اشتهر بالغطرسة والعنجهية ، فمات الأهالي جوعاً وتفرقوا في البلاد ، وبقي بطل الجبل الأخضر يزأر زئير الأسد الجريح لا تهمه الطائرات ولا الأساطيل ولا المائة وعشرون ألف جندي مع دباباتهم ومدافعهم بل ظل ينازلهم معارك تلو معارك ، ينتصر في بعضها وينال العدو منه في البعض الآخر .

أما وسائل إيطاليا لقتال المجاهدين الليبيين فاتخذت أشكالاً متعددة :

١ — القتال في البر والبحر والجو لشعب صغير مجرد من السلاح الحديث ، كل ما يملكه بنادق حصل عليها بدريهماته او غنمها من أعدائه ، وذخيرة كثيراً ما نفذت وسط المعارك الشديدة فأبيد المجاهدون ولم يستسلموا .

٢ — الاستعانة بالدول الكبرى فلقد اضطرت تركيا إلى الانسحاب من طرابلس بتأثير الدول الأوروبية الكبرى ومساعدة مثل بريطانيا وفرنسا

ولقد حدث بعد القتال الذي جرى بين المجاهدين والانجليز على حدود مصر الغربية معونة للأتراك المهاجمين لحدود مصر الشرقية أن جرت مفاوضات بين الانجليز والمجاهدين الليبيين ، واشترط الانجليز لأي اتفاق معهم أن يجري صلح بينهم وبين الطليان أولاً .

٣ – التفريق بين المجاهدين وبث الفتنة بين سكان البلاد وقد وجدوا أنذالاً حققوا لهم رغباتهم ولكنهم كانوا قلة لا يعبأ بها ولم تحدث أثراً .

٤ – إرسال الرسل الداعين إلى المفاوضات والتظاهر بالرغبة في السلام ، فعقدت مفاوضات بينهم وبين المجاهد الكبير عمر المختار حاولوا خلالها أن يخدعوه ويلقوا القبض عليه عند اجتماعه بهم ، ولكنه كان حذراً لا يلقاهم إلا مع عصبة قوية من المجاهدين ، كما حاولوا خديعته بتقديم الوعود لرفع مكانته وإعلاء شأنه فرد عليهم بأن اشترط حضور مندوبين من مصر وتونس هذه المفاوضات ، ورفض الطليان طلبه ، وقال المفاوض الإيطالي « دودياشي » : الطليان لم يسلكوا مع العرب في علاقاتهم مسلكاً يدل على الخيانة فلم يحضر المصريون والتونسيون المفاوضات ؟ وأثار جوابه عمر المختار ، فقال محتداً: كيف عاملتم قبيلة العبيدات ؟ لقد سالمتكم هذه القبيلة فاغتصبتم كل ما كانت تملكه حتى حلي النساء من آذانهن . وقبيلة العواقير سالموكم أيضاً فأخذتم منهم أربعين رجلا قتلتموهم رمياً بالرصاص، ثم جعلتم السيارات تمر على جثثهم ذهاباً وإياباً حتى اختلطوا بالتراب . ثم قام المختار إلى معسكره . واستمرت المفاوضات مدة طويلة لم يقصد الطليان منها سوى كسب الوقت لإنجاز استعداداتهم واستمالة بعض الزعماء إلى جانبهم .

٥ – إلقاء المناشير والبيانات في طول البلاد وعرضها وقد جاء في أحدها ما يلي: يا سكان طرابلس والمقاطعات التابعة لها اذكروا أن الله قال في كتابه العزيز : (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) . وقد جاء أيضاً (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله(وجاء أيضاً: (لقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر

أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) . أي الذين يصلحون الأرض ويعنمون في الفساد وينشرون فيها العدل والعمران . وجاء أيضاً : (قل اللهم مالك توتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير . فإرادة الله ومشيئته قضت أن تحتل إيطاليا هذه البلاد لأنه لا يجري في ملكه إلا ما يريد، فهو مالك الملك وهو على كل شيء قدير . فمن أراد أن يظهر في الكون غير ما أظهره مالك الملك رب العالمين المتفرد بتصرفاته في ملكه الذي لا شريك له فقد كان من المترمين وجمع الجهل بأنواعه ، وبناء عليه يلزم على كل مؤمن أن يرضى ويسلم بما تعلقت به الإرادة الربانية ، وأبرزته القدرة الإلهية ، فالملك لله يؤتيه من يشاء ، وإيطاليا تريد السلام وتريد أن تبقى بلادكم اسلامية تحت حماية إيطاليا وملكها المعظم ، يخفق فوقها العلم المثلث الألوان ؛ أبيض وأحمر وأخضر .

٦- مقاومة الحركات المؤيدة للثورة الليبية في البلاد العربية في مصر وسوريا وغيرهما ، بمعونة الانجليز في مصر ، حيث منعوا المعونات المصرية أن تصل إلى المجاهدين ، وبمعونة الفرنسيين في سوريا الذين أطلقوا النار ، وقتلوا الناس في شوارع دمشق ، لما قامت المظاهرات ضد الأعمال الهمجيـة في ليبيا ومنعوا المعونة أن تصل لأولئك المجاهدين .

وبهذه الجهود الحربية والسياسية والإعلامية تم لهم احتلال القطر الليبي ومحاصرة الجبل الأخضر مركز المجاهد الشريف عمر المختار ورفاقه الكرام .

قد أظلم الليل وغاب القمر وحار الدليل وبلغ السيل الزبى وابن السبعين عاماً ذو اللحية البيضاء كالثلج تحيط بالوجه الكئيب الحزين ، القوى البنية ، المعتدل القامة ، ثابت كالطود ، وقلبه الذي قد من الصخر جرأة وشجاعة لا يجرؤ الخوف أو التردد أن يصلا اليه أو يحوما حواليه .

طائرات الطليان في الجو تحوم مفتشة عنه ، تحرق الأخضر واليابس بقنابلها ، ودباباتها بدروعها الفولاذية تسعى إليـــه وتدور حواليه ، وألوف الجنود يضطربون خوف الإقدام عليـــه ، وهو كالأسد لا يتحرك حركة إلا ويفترس منهم عدداً ، أو يعطل لهم دبابة ، أو يسقط لهم طائرة .

والأقارب المهاجرون إلى مصر ، والزعماء الذين فروا من ميدان القتال ، ينادونه : هلم إلينا وأرح نفسك من معركة خاسرة لا أمل فيها ! فيجيبهم : وكيف أترك الصبية والنساء والبلاد لهؤلاء الأعداء ؟؟!.

لقد كان الرجل حفيد الأبطال موسى بن نصير وعقبة بن نافع والسمح بن مالك الخولاني وعبد الرحمن الغافقي الذين حالفوا الشهامة والمروءة فلم يجبنوا في قتال،ولم يتخاذلوا أمام النكبات والأهوال،ولم يفروا عن الأهل والأولاد.

ما أعظم الشبه بين معارك المختار في الجبل الأخضر وبين معركة بلاط الشهداء في جنوب فرنسا!! ما أقرب المختار من الغافقي في الشيمة والطباع !!

أتظن أني أستطيع أن أذكر لك معارك المختار مع جيوش الطليان ؟؟ ذلك تاريخ طويل استمر عشرين عاماً مع الطليان والفرنسيين والانجليز أيضاً.

حسبك أن تعلم أن الرجل في آخر معركة نفدت ذخيرة رجاله وسقط عليه جواده فأسروه وهم لا يعرفونه لولا بعض من كان يقابله منهم في المفاوضات فنقلوه إلى بنغازي .

أجل أسروه بعد معركة دامت يومين كاملين بين جيش وأربعين مجاهداً هم رفاق المختار الذين فنوا جميعاً ، ولم يبق سواه تحت حصانه الذي قتل أيضاً وقد خاطب آسريه قائلا : إن أسري بإرادة الله وهو وحده يتولى أمري ، الآن افعلوا ما تشاؤون ،واعلموا أني ما كنت في يوم من الأيام لأسلم لكم طوعاً !.

كان قائد جيوش الطليان يومئذ (جرازياني) وكان ذاهباً إلى باريس فعلم وهو في القطار بأمر أسر المختار فلم يتم رحلته بل نزل من القطار إلى الطائرة التي حملته إلى بنغازي ليقابل المختار ويدعي شرف الانتصار .

جيء إليه بالبطل مقيداً – كما يقول في كتاب ألفه وملأه بالتبجحات – وقد غطى وجهه بجرامه وأخذ الإيطالي المغرور يسأل أسيره :

– هل أمرت بقتل الطيارين الإيطاليين ؟!.
– نعم فالحرب هي الحرب .
– هذا إذا كانت هناك حرب فعلاً وليست أعمال لصوصية إجرامية مثل أعمالكم .

المختار : هذا رأيك .

جرازياني: هل توافق على المساعدة في اخضاع الثوار ؟

المختار : أبداً أبداً قد أقسمنا جميعاً أن نموت واحداً بعد واحد ولا نسلم أنفسنا بتاتاً ومن المعروف أني لم أسلم نفسي .

جرازياني: لا شك أنك كنت طوال حياتك رجلاً شجاعاً وإني لأرجو أن تظل شجاعاً مهما حدث لك أو نزل بك .

المختار : إن شاء الله .

ويقول جرازياني في كتابه: إن السيد عمر المختار قد فهم في تلك الآونة مصيره المحتوم .

ومع ذلك استدعى (جرازياني) محكمته الطيارة وانعقدت المحكمة وجيء بالمختار مكبلاً بالحديد وأتوا بترجمان لم يستطع أن يستمر في الترجمة لما أصابه من تأثر وارتباك ، فاستدعي أحد اليهود واسمه «لمبروزو» فقام بالترجمة واستمرت هذه المحاكمة الكاذبة ساعة أصدروا في نهايتها الحكم بالاعدام وسأل هؤلاء الحكام المترجم أن ينقل إليهم ما يقوله المختار لدى سماعه بالحكم ، فقال لهم إنه قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ولم يزد .

ونفذوا حكم الاعدام أمام حشد كبير جمعوهم بالاكراه ليبكوا بطلهم وقد شنقوه مرتين لأنه لم يمت في المرة الأولى وذلك عام ١٩٣١ .

لقد ولد عام ١٨٦٢ وتوفي والده في طريق الحج فشب يتيماً، ودرس في الجغبوب وانضم إلى جماعة السنوسية وهي فرقة دينية أسهمت في الجهاد ضد إيطاليا .تأسست في مكة المكرمة ثم انتقلت إلى ليبيا .

هذا هو الفدائي الكريم أحد أبطال شعبنا في العصر الحديث هذا الشعب الذي لا يزال حتى اليوم يقاسي الأمرّين من التفرق والخلاف والجهل والقبليـة والإقليمية، والتأخر في الصناعة بينما صحت شعوب كثيرة في آسيا وفي أفريقيا وألقمت أوربا حجراً وطرحتهـــا أرضـاً في كثير من المباريات والمبارزات وحق أن اختم هذه الكلمة بأبيات من قصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي رثى بها أمير الفدائيين عمر المختار :

ركزوا رفاتك في الرمال لواءَ ... يستنهض الوادي صباح مساءَ
يا ويحهم نصبوا مناراً من دم ... يوحي إلى جيل الغد البغضاء
ما ضر لو جعلوا العلاقة في غد ... بـين الشعوب مودة وإخاء
جرح يصيح على المدى وضحية ... تتلمس الحريـــة الحمـــراء
تلك الصحاري غمد كل مهند ... أبلى فأحسن في العـدو بلاء
خيرت فاخترت المبيت على الطوى ... لم تـــبن جاهاً أو تلم ثراء
إن البطولة أن تموت من الظما ... ليس البطولة أن تعبّ الماء
في ذمة الله الكريم وحفظه ... جسد ببرقة وسّـــد الصحراء
لم تبق منه رحا الوقائع أعظما ... تبلى ولم تبق الرماح دماء
كرفات نسر أو بقية ضيغم ... باتا وراء السافيات هبـــاء
لبّى قضاء الأرض أمس بمهجة ... لم تخش إلا للسماء قضـــاء
وأتى الأسير يجر ثقل حديده ... أســـد يجرر حية رقطاء
عضت بساقيه القيود فلم ينؤ ... ومشت بهيكله السنون فناء
يا أيها الشعب الكريم أسامع ... فأصوغ في عمر الشهيد رثاء؟!
أم ألجمت فاك الخطوب وحرمت ... أذنيك–حين تخاطب – الأصغاء؟
ذهب الزعيم وأنت باق خالد ... فانقد رجالك واختر الزعماء
وأرح شيوخك من تكاليف الوغى ... واحمل على فتيانك الأعبـــاء

الكويت : محمد علي العبد

الصحافة في الحجاز في العهد الهاشمي

من ١٣٣٤هـ (١٩١٦م) إلى ١٣٤٤هـ (١٩٢٥م)

يبدو أنه لم يبق من صحف الحجاز عند قيام الحرب العالمية الأولى سوى جريدة واحدة هي الجريدة الرسمية « حجاز » [١] . إن تاريخ انقطاع هذه الجريدة عن الصدور غير معروف ، ولكن من المرجح أنها لم تصدر بعد ٩ يوليو ١٩١٦ حين قضى الشريف حسين على الحكم التركي بمكة . وبعد خمسة أسابيع من هذا التاريخ صدرت «القبلة» أولى صحف العهد الهاشمي ، وهكذا فإن الظروف السياسية التي أودت بجريدة « حجاز » قد أوجدت وسائل دعاية سياسية أخرى ، فصدرت في الحجاز في هذه الفترة أربع جرائد هي : « القبلة » و « الحجاز » و « الفلاح » و « بريد الحجاز » ، ومجلة واحدة هي « مجلة مدرسة جرول الزراعية » .

القبلة :

إن أول ما ظهر من صحف العهد الهاشمي هي جريدة « القبلة » التي صدرت في مكة في ١٥ - ١٠ - ١٣٣٤هـ / ١٥ - ٨ - ١٩١٦م ، والتي كانت تصدر مرتين في الأسبوع . وإلى جانب ما يدل عليه اسم هذه الجريدة من صبغة دينية ، فإن « القبلة » قد صرحت بأنها « جريدة دينية سياسية اجتماعية تصدر لخدمة الإسلام والعرب » . وقد اتخذت من الآية الكريمة «وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه» [٢] شعاراً لها .

---

(١) انظر مقالة « الصحافة في الحجاز في آخر العهد العثماني » لكاتب هذه السطور ، مجلة « العرب » : ج ١١ ، (١٩٧٠) .

(٢) حذفت هذه الآية من الجريدة بعد ذلك ، ويبدو أنها قد حذفت خوفاً من أن يهان القرآن حين يرمي القراء الجريدة بعد الفراغ من قراءتها ، ولقد عبرت « القبلة » عن هذا الخوف في العدد ١٤١ (١٣ - ٣ - ١٣٣٦هـ / ٢٧ - ١٢ - ١٩١٧م) .

لم تبين « القبلة » في افتتاحية عددها الأول المبادىء التي ستسير عليها ، ولكنها أكدت في هذا العدد بأنها ستجند نفسها لشرح قضية الشريف حسين في صراعه مع جمعية الإتحاد والترقي التي كانت تسيطر حينئذ على الدولة العثمانية. وإذا لم تكن « القبلة » قد أوضحت منذ البدء سياستها الصحفية فإنها قد فعلت ذلك في عام ١٩١٩ عندمـــا أعلن محررها رأي الجريدة في الصحافة فقال : « نحن نعلم أن الصحافة لم توجـد بين الأمم إلا لترشدهم إلى الخير وتبين لهم أبوابه ، ووسيلة تظهر لهم أوجه الشر والضر وتعين لهم أسباب الوقاية منه، وتطلعهم على أحوال العالم ومظاهره إن كانت خيراً أو شراً»[١]. وقد أكدت « القبلة » رأيها هذا بمناسبة الاحتفال بعامها السابع حيث وعدت بأن تكرس نفسها لخدمة القضية الإسلامية ، وافتخرت بتمسكها بأهدافها الدينية والوطنية ، وبكونها « كل هذه السنوات السبع التي انقضت مثال الصدق والإخلاص والنزاهة »[٢].

ورغم أنه لم يصرح بأن « القبلة » جريدة رسمية ، فقد كانت صلتها بالشريف حسين وحكومته قوية، ذلك لأنها كانت تطبع في المطبعة الحكومية التي كان يشرف عليها « مدير الجريدة المسؤول »[٣] نفسه ، ولقد كانت تتبع أي سياسة يتبناها الشريف حسين ، حتى ليبدو أن ما فيها من آراء لم يكن يعبر عن وجهة نظر رئيس تحريرها بقدر ما كان يعبر عن وجهة نظر الشريف حسين نفسه ، ولذلك فعند ما حاولت « القبلة » أن تفسر سبب استمرارها في مناقشة موضوع الخلافة كانت كمن يتحدث بلسان الشريف حسين حين قالت : « رغماً عما يفرض مما نتهم به من توالي بحثنا في الخلافة ، فضرورة حرصنا على عدم ما في تطفل الغير على أهم مسألة اسلامية وهي الخلافة تلجؤنا

---

(١) « حول الصحافة العربية » ، عدد ٣٣٩ (١١ - ١٢ - ١٩١٩) .

(٢) العدد ٦٩١ (٣١ - ٥ - ١٩٢٣) .

(٣) من المرجح أن يكون منصب « مدير الجريدة المسؤول » في « القبلة» هو منصب رئيس التحرير ، لأن « المدير المسؤول » كان يتولى الإشراف على التحرير ، ولأنه لم يشر في « القبلة » إلى منصب أعلى من منصبه .

إلى الخوض في هذا البحث مع ما فيه من التهمة التي يعلم القاريء أننا منها براء كبراءة الذئب من دم ابن يعقوب »[1] . فالتهمة التي تحرص الجريدة هنا على نفيها هي أن يكون الشريف حسين قد أراد منصب الخلافة لنفسه . هذه الخلافة التي تخلى الأتراك عنها بعد عدة أشهر من نشر هذا القول فبويع بها الشريف حسين .

وبالاضافة إلى ماتدل عليه سياسة جريدة «القبلة» من صلتها القوية بالشريف حسين ، فإن هناك أدلة أخرى تعزز القول بأن « القبلة » كانت شبه رسمية . فيذكر الشيخ محمد حسين نصيف – أحد معاصر الشريف حسين – بأن « القبلة » كانت لسان حال الشريف حسين ، ويؤكد أنه هو وحده الذي كان يرسم سياستها[2] ويشبه هذا القول ما كتبة خير الدين الزركلي الذي زار مكة في عهد الشريف حسين فتحدث عن جريدة « القبلة » وصلتها بالشريف حسين قائلاً بأنها : لسان حاله والمعبرة عن آرائه وأفكاره »[3] ويضيف إلى إلى ذلك قوله بأن أمر الجريدة والمطبعة في يد الحسين[4] ويقول أحمد السباعي كذلك بأن الحسين قد « أنشأ في عهده جريدة «القبلة» للدفاع عن حركته وللدعاية لها ... وكان يشرف بنفسه على سياستها[5] » .
كان محب الدين الخطيب[6] أول « مدير مسؤول لجريدة « القبلة » ، ولكن اسمه لم يظهر فيها إلا منذ العدد الثاني ، واستمر ذكره بعد ذلك في كل عدد من أعدادها حتى ٣٠ سبتمبر ١٩٢٠ عندما خلفه حسين الصبان الذي دام في منصبه حتى انقطاع الجريدة عن الصدور . ورغم أن اسم محب الدين الخطيب قد ظل يظهر في « القبلة » كمدير مسؤول لها إلى حين تعيين حسين الصبان في

---

(١) العدد ٧٤٠ (٢٦ – ١١ – ١٩٢٣) .
(٢) لقد تفضل الشيخ محمد نصيف علي بهذه المعلومات القيمة وبمعلومات أخرى – سيشار اليها فيما بعد – في مقابلة شخصية عام ١٩٦٤ .
(٣) « ما رأيت وما سمعت »، (القاهرة ١٩٢٣) : ص ١٣٥ .
(٤) المصدر نفسه : ص ١٣٥ .
(٥) « تاريخ مكة » ، جـ٢ (مكة ١٣٨٣ / ١٩٦٣ أو ١٩٦٤) : ص ٢٣٨ .
(٦) انتقل إلى رحمة الله سنة ١٣٨٩ هـ .

عام ١٩٢٠ ، إلا أنه يبدو أن الجريدة قد بقيت بدون مدير مسؤول مـدة تزيد عن عام،ذلك لأن الخطيب قد ترك العمل فيها في عام ١٣٣٧–١٩١٩[١] ولعل «القبلة» كانت تشير إلى هذه الحقيقة عندما قالت بمناسبة تعيين حسين الصبان : « حيث أنه لا بد من أن يكون لإدارة المطبعة و « القبلة » مدير حاضر مسؤول يتولى شؤونها فقد عهد إلى الشيخ حسين الصبان بذلـك ، وستصدر باسمه من هذا التاريخ »[٢]. لم تذكر الجريدة سبباً غير هذا لإحلال الصبان محل الخطيب ، ولكن الخطيب نفسه قد ذكر بـأنه ترك العمل في جريدة «القبلة» لأنه لم يكن راضياً عن عمله فيها ، وقال متذكراً أيام عودته إلى الحجاز مع مساعده وصديقه احمد شاكر الكرمي[٣] في شهر رجب عام ١٣٣٦ مارس أو إبريل ١٩١٨ للعمل في جريدة «القبلة» : « وانقضى عام تمكن فيه اليأس من قلبين لم يكن لليأس سبيل إليهما ، فقررنا أن نبتعد عن تلك البيئة، فحمل البحر صديقي إلى وادي النيل ، واخترقت أنا البادية بطريق المدينـة إلى دمشق ... »[٤].

وممن تولى التحرير في«القبلة» وشارك في الكتابة فيها كذلك فؤاد الخطيب وعبد الملك الخطيب ومصطفى فهمي والطيب الساسي . ويقول الزركلي بأن الحسين نفسه قد كتب « مقالات كثيرة فيها يعرفها قراؤها بأسلوب كتابته الذي لا يتغير ولا يتبدل »[٥] . ويقول الشيخ محمد نصيف كذلك بأن الحسين كان يحرر بعض افتتاحيات « القبلة » ولا سيا تلك التي كانت تتعلق

(١) انظر مقالة محب الدين الخطيب : « أحمد شاكر الكرمي » في كتاب « أحمد شاكر الكرمي مختارات من آثاره الأدبية والنقدية والقصصية » ، جمع عبد الكريم الكرمي ، (دمشق لا . ت) ص ٢٨٢ . في ٩ – ٥ – ١٩١٩ ذكرت « القبلة » (عـدد ٢٨٠) خبر سفر محب الدين إلى سوريا ، ولكنها لم تشر إلى أنه قد ترك العمل فيها إلا في ٣٠ سبتمبر ١٩٢٠ .

(٢) « القبلة » ، عدد ٤٢٠ (١٧ – ١ – ١٣٣٩ / ٣٠ – ٩ – ١٩٤٠) .

(٣) في ٢٥ نوفمبر ١٩١٩ نشر أحمد شاكر الكرمي بعد مغادرته الحجاز مقالاً عن الصحافة العربية في جريدة « الكوكب » المصرية. وقد ناقشت « القبلة » (عدد ٣٣٩ في ١١ – ١٢ – ١٩١٩) هذه المقالة نقاشا حاد اللهجة ، إذ وصفت آراء الكرمي بالفساد والبطلان .

(٤) مقالته السابقة .

(٥) كتابه السابق ، ص ١٣٥ .

بالقضايا السياسية الهامة ، وأن القاريء يستطيع معرفة أسلوبه بما يتسم به من إكثار في استخدام مثل هذه الكلمات: «حسيات»و« كالات»و«معنويات» (١).

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره من رعاية الشريف حسين للقبلة واهتمامه بها فإن القارىء ليشعر بأن « القبلة » لم تكن سوى مرآة تعكس نشاط الحسين السياسي منذ عام ١٩١٦ ، وبأن سلسلة القضايا التي خصصت لها صفحاتها كانت متفقة – من حيث الزمن والاتجاه – مع مراحل هذاالنشاط ومظاهره. ولذلك فقد كانت « القبلة » مشغولة في سنتيها الأوليين بالإشادة بمن قاموا ضد الأتراك ، وبمدح الحلفاء ومهاجمة جمعية الاتحاد والترقي وحلفائها الألمان . ولقد أفاضت «القبلة» في الحديث عن هذه الجمعية حتى أن محررها أعلن في لحظة من لحظات سأمه بأنهم قد ملوا معالجة القضية « التورانية »، وأبدى شعوره بأنه لا بد من أن القراء قد أحسوا بمثل ذلك (٢).

أصيب الجنود العرب بنشوة النصر حين افتتحوا دمشق في عـــام ١٩١٨ بقيادة فيصل بن الحسين ، وبدا للشريف حسين حينئذ أن آماله قد أصبحت قريبة المنال ، فأخذت «القبلة» في تمجيد العرب والتبشير بمستقبلهم الزاهر ، ولكن الفرحة لم تطل ، إذ لم تمض سوى بضعة أشهر حتى أبـدى بعض السوريين امتعاضهم من أن تربط بلادهم بحكومة الحجاز . ولذلك فما كادت « القبـلة » تنتهي من مهاجمة جمعية الاتحاد والترقي حتى بدأت تهاجم المنشقين من السوريين ، وتدعو إلى جمع الكلمة .

كانت فرنسا وبريطانيا قد وعدتا الحسين بالمساعدة في إنشاء دولة عربيـة مستقلة تتكون من الحجاز ومن المناطق العربية التي كانت تحت حكم الأتراك ، ولكن «القبلة» أدركت في عام ١٩١٩ أن هاتين الدولتين كانت تنويان سراً إقامة حكم انتدابي في بعض هذه المناطق . ولم يأت عام ١٩٢٠ حتى حقق الفرنسيون نيتهم ، فاستولوا على دمشق وقضوا على الحكم الهاشمي فيها . وقد

(١) مقابلة شخصية مع الشيخ محمد نصيف .

(٢) انظر « القبلة » ، عدد ١٢٧ (٢٣ – ١ – ١٣٣٦ / ٨ – ١١ – ١٩١٧) .

وجدت « القبلة » نفسها – إزاء موقف هؤلاء الحلفاء – تحارب عدواً آخر، ولكنها كانت في هذه المرة تحارب بروح غير متحمسة، ونفس مليئة بخيبة الأمل.

وقد تخلت « القبلة » بعد هذا الخوض في شؤون السياسة، واتجهت إلى معالجة الموضوعات الإرشادية. وقد أوضح محرر « القبلة » في ٢٤ أكتوبر ١٩٢١ سبب هذا الاتجاه حين تحدث عن مهنة الصحافة فقال: « رأينا في الآونة – ولا نشك أن الفضل والكمال رأى – ما رأيناه من انتحال صحفنا بل صحف العالم بأجمعه المسلك الذي انتحلته، المخالف لأساس تشكيلها وتأسيسها في العام، وهو أن تكون مظهراً للإرشاد ومرآة للحقائق والفضائل والكمالات والإلزام المصلحة لنا بالاشتراك في المباحث والمواضيع مع رؤيتنا لهذه العلة التي التي جعلت الغاية المقدسة العالية النزيهة من الصحافة عاليها سافلها – رأينا أن تشتغل «القبلة» في هذه الآونة بنشر السيرة النبوية المشتملة على مفاخر الدنيا وسعادة الآخرة مادية كانت أم معنوية، وألا تنشر عدا ذلك سوى شيء من أنباء العالم نقلا عن صحفه وشركاته البرقية، ومع ذلك فالعهدة فيما ننقله على الراوي. » وقد حققت «القبلة» وعدها هذا، فتركت الاهتمام بالشؤون السياسية وأخذت تنشر سلسلة من المقالات الدينية المطولة تحت عنوان « للعظة والذكرى ». واستمرت في ذلك حتى عام ١٩٢٣ عندما تأثرت بما جدّ في قضية الخلافة من تطور سياسي سريع، فتخلت عما فرضته على نفسها من اعتزال للأمور الدينية، ودخلت معترك الحياة السياسية، وبدأت في مناقشة موضوع الخلافة من ناحيتيه السياسية والروحية. وحين بويع الحسين بالخلافة في ١١ مارس ١٩٢٤ شغلت « القبلة » بهذا الحدث، وعادت مرة ثانية إلى صخب الحياة السياسية الذي كانت قد هجرته منذ عامين، وأوقفت نشر سلسلة المقالات التي كانت تنشر بعنوان « للعظة والذكرى »، والتي بلغت حينئذ ١٢٥ حلقة. ومهما يكن، فلم تعش «القبلة» بعد هذا طويلاً، إذ ما لبث أن احتجبت عن الصدور في ٢٥ – ٢ – ١٣٤٣ / ٢٥ – ٩ – ١٩٢٤، وإذ ما لبث الحسين أن تنازل عن السلطة لابنه علي في ٥ أكتوبر ١٩٢٤.

ومن هذا يتبين أن « القبلة » لم تكن بالنسبة للشريف حسين مجرد وسيلة من وسائل الدعاية السياسيـــة ، بل كانت مرآة تعكس مشاعره الخاصة ، وتصور تفاعله مع الأحداث الجارية . ولقد كانت «القبلة» ذات صبغة ذاتية قوية ، ولكن الذي لونها بهذا اللون الذاتي لم يكن رئيس تحريرها ، بل كان راعيها الشريف حسين .

كانت «القبلة» أشبه ما تكون بالجريدة الحزبية ، لذلك فقد كان معظم ما نشر فيها عبارة عن مقالات جدلية وتعليقات سياسية لم تكن تلتزم دائمـــاً بالموضوعية . وفي سنتها الأولى كان فؤاد الخطيب ومحب الدين الخطيب غالباً ما يحرران مقالاتها الافتتاحية ، ولكن هذه الافتتاحيات قد أصبحت فيما بعد غير موقعة . وكانت افتتاحيات فؤاد الخطيب – الذي كان مسؤولاً عن الشؤون الخارجية في الحكومة الهاشمية ، والذي لم تذكر « القبلة » قط أنه كان محرراً رسمياً فيها – تتميز بأسلوبها الخطابي الأدبي ، أمـا مقالات محب الدين الخطيب فيبدو أنها كانت أقرب إلى طريقة التحرير الصحفي الحديث ، إذ أن أسلوبهـــا كان أقل تأنقاً ، وأن مضمونها كان أقرب إلى طبيعة عرض الأحداث السياسية الجارية والتعليق عليها . وفي السنوات الأخيرة غلبت هذه الطريقة على أسلوب تحرير الافتتاحيات .

أما الأخبار التي كانت توجد – في العادة – مفرقة ما بين أعمدة الصحفات الثانية والثالثة والرابعة ، فتتلو الافتتاحيات في الأهمية ، وكانت هذه الأخبار تتلون – أحياناً – بآراء الجريدة المختلفة ، وتستغل لخدمة أغراضهـــا الدعائية . ولم تكن القبلة تنشر شيئاً من الأخبار والأحداث المثيرة ، بل كانت تتسم دوماً بالجد والرزانة ، ولم تكن تلجأ إلى النقد الحاد واللهجة القاسية إلا في مجال الخصومة السياسية .

إنه لما يشك فيه أن تكون « القبلة » قد حققت تلك المبادىء الصحفية المثالية التي أعلنتها ووعدت باتباعها . ومهما يكن فقد كانت صحيفة متزنة ، تراعى القيم الأخلاقية والتقاليد ، ولم تكن « القبلة » مجرد نشرة رسمية ، إذ

أن أعمدتها كانت مليئة بمواد أكثر حيوية وإمتاعاً من تلك الإعلانات الرسمية والتقارير الحكومة التي تحفل بها – عادة – الجرائد الرسمية .

لم تكن « القبلة » مجرد صحيفة محلية ، بل كان مجال اهتمامها يتعدى نطاق الحجاز ، فقد كان يكتب فيها – احياناً – كتاب من مختلف البلدان العربية ، وكانت – كما يقول إبراهيم عبده – تقرأ في مصر والشام وسائر البلدان العربية والإسلامية [١] ورغم أن « القبلة » لم تغفل عن معالجة شؤون الحجاز ، إلا أنها كانت غير قانعة بشهرتها المحلية ، وكانت تشعر بشخصيتها كجريدة تجاوز انتشارها حدود الحجاز . فعندما ذكر أحمد شاكر الكرمي – احد محرريها السابقين – في مقالة نشرها في جريدة « الكوكب » المصرية بأن « القبلة » تقرأ على نطاق واسع في الحجاز [٢] ، غضب محرر « القبلة » من هذا القول الذي اعتبره تقليلاً من أمر انتشارها في سائر أرجاء العالم ، وأبدى شيئاً من عدم الاهتمام بالشهرة المحلية حيث رد على الكرمي بجفاء فقال: « ... الحقيقة أن « القبلة » لا يباع منها في القطر الحجازي إلا بضع مئات من النسخ ، وبقية الخمسة آلاف نسخة منتشرة في العالم كله » [٣] .

ويبدو كذلك أن « القبلة » لم تكن تعير الرأي العام شيئاً كبيراً من اهتمامها ، ذلك لأن محرر « القبلة » قد سخر من الكرمي الذي قال – في مقالته السابقة – بأن الرأي العام هو « محور نجاح الصحافة وقطب رحاها ، وهو وحده الذي يعلي شأنها ويشرف قدرها أو يحكم عليها بالموت والفناء كما هو مشاهد في البلاد المتمدنة التي يظهر فيها أثر الرأي العام واضحاً جلياً . » وقد حاول محرر « القبلة » كذلك تفنيد رأي الكرمي مستشهداً بمجال الصحافة

---

(١) انظر « سيرة من الحرمين » (القاهرة ١٩٦١) ص ١٩.

(٢) لقد قال هذا في ٢٥ – ١١ – ١٩١٩ في مقالته : « الصحافة العربية ». وقد اقتبست « القبلة » هذه المقالة بأكملها في عددها ٣٣٩ (١١ – ١٢ – ١٩١٩) . كما أن المقالة قد طبعت مرة ثانية في كتاب : « أحمد شاكر الكرمي ، مختارات من آثاره ... » جمع عبد الكريم الكرمي ، ص ٥١ – ٥٤ .

(٣) « حول الصحافة العربية » ، « القبلة » ، عدد ٣٣٩ (١١ – ١٢ – ١٩١٩) .

الغربية فقال : « جعل حضرة الكاتب المحور الذي تدور عليه حركة الصحافة الرأي العام ، فهل ينظر معنا حضرة الكاتب إلى ما نشرته وتنشره صحف لندن وباريس واميركا في رؤساء وزاراتهم وقادة امورها ، والصحف هي ترجمان الرأي العام الذي قام بالأمس في اميركا فمنح الحكومة ثقته وبعثها على اعلان حرب جاءت لأجلها الملايين من خلاصة الأيدي العاملة ، والتهمت مئات الألوف من الأنفس الاميركية والمليارات الكثيرة من الليرات ، وأصبح اليوم يسفه آراء قادته ويشبعهم طعناً ويضرب بكل ما يتطلبونه عرض الحائط كأنه نسي أنه كان بالأمس مؤيداً لهم ، محبذا عملهم حتى اقدموا على إعلان الحرب التي وقف اليوم يعارضهم في التدبر في نتائجها ! فيا أفاضل العالم إننا نناشدكم الحقيقة كيف نحكم على هذا الرأي العام الذي هو أساس العمران وهو لم يستطع أن يفرق بين الضر والنفع في ظرف هذه المدة اليسيرة ! »(١)

ويظهر أن هذا الموقف الذي وقفته « القبلة » من الرأي العام لم يكن سببه أنها كانت تعتبر نفسها جريدة فئة مختارة من القراء ، ذلك لأنها لم تعالج من القضايا إلا ما كان يتصل بالرأي العام ويهمه ، ولكن من المحتمل ان تكون قد قصدت بموقفها هذا تأكيد تلك الفكرة التي تقول بأن على الصحافة أن ترشد قراءها وتعلمهم لا أن يكون الأمر بالعكس . وقد اوضحت « القبلة » هذا المبدأ حين قالت في هذه المقالة نفسها : « نحن نعلم أن الصحافة لم توجد بين الأمم إلا لترشدهم إلى الخير وتبين لهم ابوابه ، ووسيلة تظهر لهم أوجه الشر والضر وتعين لهم اسباب الوقاية منه .. »

كانت « القبلة » تحرر تحريراً جيداً ، ولكن كتابها – الذين يبدو أنهم لم يكونوا شاعرين بما تدعو إليه نظريات التحرير الصحفي الحديث من إيجاز وسهولة في التعبير – كانوا يميلون إلى الاطناب وإلى جزالة الاسلوب العربي

(١) « حول الصحافة العربية » ، « القبلة » ، عدد ٣٣٩ (١١ – ١٢ – ١٩١٩) .

القديم ، ولذلك فقد كانت المقالات التي نشرت فيها تتسم بهذه الجزالة، وتتميز باستخدام طرق التعبير الأدبية .

كانت « القبلة » تصدر في أربع صفحات كبـــار تتسم ببساطة المظهر والترتيب ، وربما كان لضعف وسائلها الطباعية [1] دخل في خلو صفحاتها من تلك المظاهر الصحفية الحديثة كالتحقيقات والصور والمقابلات الصحفية ، ولقد حاولت « القبلة » اجتذاب المعلنين إليها ، ولكن ما نشر فيهـا من إعلانات تجارية كان قليلاً جداً . ومهما يكن فإنه يبدو أن « القبـــلة » لم تعانِ من المصاعب المالية ، وذلك بسبب رعاية الشريف حسين لها ، ولكن يظهر أن دخلها من الإعلان كان يقل كثيراً عن دخلهـــا من التوزيع الذي بلغ خمسة آلاف نسخة في عام ١٩١٩ [2] .

إن جريدة « القبلة » التي ظلت تصدر مدة تزيد عن ثمان سنوات هي أهم صحف العهد الهاشمي وأشدها تأثيراً في الحياة الثقافية والاجتماعية في الحجاز، إنها سجل للحياة الفكرية والسياسية التي عاشها الحجاز في تلك الحقبة . ولقد حققت « القبلة » من النجاح في الميدان الصحفي ما لم تحققه أية صحيفة من صحف العهدين الهاشمي والعثماني ، كما أنها قد اسهمت في تطوير صحافة الحجاز اكثر مما اسهمت به جريـــدة « حجاز » أو أي صحيفة أخرى من صحف الفترة السابقة .

---

(١) لقد ورثت « القبلة » مطبعة الحكومة اليدوية التي أسسها العثمانيون في مكة عام ١٣٠٠ / ١٨٨٢ أو ١٨٨٣ ، والتي وصفتها جريدة « حجاز » الرسمية في ٢٨ - ٣ - ١٣٣٨ / ٩ - ٥ - ١٩١٠ فقالت: بأن بعض أجزائها قد أصيبت بالخراب والبلى . ويتفق كل من محرر « أم القرى » في مقالته عن الطباعة والصحافة في الحجاز (عدد ٢٠٧ في ١٤ - ٩ - ١٩٢٨) ومحمد سعيد عبد المقصود (صوت الحجاز عدد ٣٤٣ في ٢٥ - ١ - ١٩٣٩) في القول بأن الحكومة الهاشمية لم تدخل أي تحسين على المطبعة الحكومية التي ورثتها من العهد العثماني ، ولكن خليل صابات: « تاريخ الطباعة في الشرق العربي » ، (القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٣١٠) يقول بأن الحكومة الهاشمية قد اشترت من القاهرة في سنة ١٩١٩ مطبعة صغيرة لجريدة « القبلة » .

(٢) انظر « حول الصحافة العربية » ، « القبلة »، عدد ٣٣٩ (١١ - ١٢ - ١٩١٩).

الحجاز :

حين قام الشريف حسين ضد الاتراك استطاع الاستيلاء على معظم اجزاء الحجاز ، ولكن المدينة بقيت في ايديهم حتى نهاية الحرب العالمية الأولى . وهناك صدرت جريدة « الحجاز » [1] في ٩ – ١٢ – ١٣٣٤ / ٧ – ١٠ – ١٩١٦ كجريدة « سياسية أدبية اقتصادية اجتماعية » . وقد صدرت – في باديء الأمر – ثلاث مرات في الاسبوع ، ثم صدرت خمس مرات في الاسبوع ثم اصبحت يومية . وكانت « الحجاز » تطبع في مطبعتها الخاصة بها ، وتتألف من أربع صفحات صغار أنقصت – فيا بعد صفحتين .

كان حمزة غوث هو « المدير المسؤول » في جريدة « الحجاز » ، ولكن يبدو أن شؤون التحرير كانت منوطة بالصحفي السوري بدر الدين النعساني الذي كان يكتب المقالات الافتتاحية ويوقعها باسمه الأول.. لم توضح الجريدة مركز النعساني فيها ، ولكن خير الدين الزركلي قد أشار إلى طبيعة عمل النعساني في جريدة « الحجاز » فقال بأنه قد « عهدت إليه السلطة العسكرية العثمانية في خلال الحرب العامة الأولى بإصدار جريدة« الحجاز » بالمدينة المنورة » [1].

وتشبه جريدة «الحجاز» «القبلة» من حيث أنه لم يصرح فيها قط بأنها جريدة رسمية ، ولكن مما لا شك فيه هو أنها كانت على صلة قوية بالسلطة التركية في المدينة ، تلك السلطة التي جندت الجريدة نفسها للدعاية لقضيتها والدفاع عن موقفها السياسي والعسكري . وقد أكد الزركلي – كما ذكر سابقاً – بأن السلطة العثمانية هي التي أصدرتها .

ذكر أحمد السباعي بأن جريدة «الحجاز» ليست سوى استمرار لجريدة « حجاز » الرسمية التي صدرت في مكة عام ١٩٠٨/١٣٢٦ ، والتي كان

(١) لم استطع الاطلاع إلا على الأعداد التالية : ١ و ٤ و ٧ و ٩ و ١٠ و ٢٨ و ٣٩ و ١٠٤ و ١٠٥ .

(١) « الأعلام » : ج ٧ (القاهرة ١٩٥٦) ص ٣٢٣ .

– كما يقول – قد « انتقل صدورها إلى المدينة » بعد سقوط مكة في يد الشريف حسين [1] . ولكن يبدو أن هذا القول لا يعدو أن يكون تسجيلاً للانطباعات الخاصة التي يحملها الكاتب عن جريدة « الحجاز » تتبعان سياسة واحدة ، فإن الجريدة الأخيرة تختلف عن الأولى من حيث أنه لم يصرح بأنها جريدة رسمية ، ومن حيث أنها لم تكن تصدر نسخة من موادها باللغة التركية وهي تختلف عنها كذلك بما تمتاز به من جودة في التحرير والطباعة . ومما يلاحظ كذلك هو أن جريدة « الحجاز » قد تجاهلت أمر سميتها التي يقول السباعي بأنها أصل لها ، فوصفت سنة ١٩١٦/١٣٣٤ بأنها سنتها الأولى ، وبدأ ترقيم أعدادها بالعدد رقم (١).

ورغم ما ادعته جريدة « الحجاز » من اهتمام بميادين السياسة والأدب والاقتصاد والاجتماع ، فإن السياسة – كما يبدو من الأعداد الموجودة – قد حظيت بأكبر قدر من اهتمامها . فمواد جريدة « الحجاز » تتكون – في العادة – من مقالات وأخبار تهدف إلى الإشادة بأعمال القوات التركية وحلفائها ومهاجمة الحلفاء الغربيين والشريف حسين . وقد كانت الجريدة – في أكثر ما يوجد من أعدادها – مهتمة بالقضايا العثمانية وقضية الحرب الدائرة في الجبهة الأوروبية أكثر من اهتمامها بمعالجة الأحداث المحلية . وحيث أن جريدة «الحجاز» كانت ذات موضوع واحد ، وأنها كانت مجندة للدعاية السياسية ، ولخدمة القوات التركية المحاصرة في المدينة ، فإنه لم يكن فيها سوى القليل مما يمكن أن يحظى باهتمام القاريء المدني العادي، ولولا ذلك الأسلوب المشرق البليغ الذي كان يكتب به محررها بدر الدين النعساني لكانت موادها أقل إمتاعاً .

ويظهر أن ظروف الحرب قد جعلت توزيع جريدة « الحجاز » خارج المدينة أمراً صعباً ، ذلك لأنه بعد ستة أشهر من صدورها أشار إليها محرر «القبلة» وقال بأنه قد « وقع في يدنا عدد من جريدة تصدر في المدينة المنورة

(١) انظر كتابه السابق ، ص ١٩٠

اسمها « الحجاز ... »[1]. والمهم في هذه الملاحظة هو أن محرر « القبلة » قد بدا كما لو كان يقدم إلى قرائه جريدة لم يعرفوا مجرد اسمها ويلاحظ كذلك ان معظم من سجلوا أسماء جرائد الحجاز كانوا غير شاعرين بوجود جريدة « الحجاز » وذلك بسبب ندرة ما بقي من اعدادها ، فلم يرد ذكرها إلا عند فيليب دي طرازي[2] وأحمد السباعي[3] ، أما أحمد علي فلم يشر اليهـا في مقالته التي نشرها عن تاريخ الصحافة السعودية في مجلة « الحج »[4]. وكلما جاء في المقالة التي كتبها محرر « أم القرى » عن تاريخ الصحافة في الحجـاز هو أن السلطات العسكرية التركية في المدينة قد أصدرت صحيفة أسبوعية اسمها « المدينة المنورة » في عام ١٣٣٥[5] (١٩١٦ أو ١٩١٧) ، ويبدو أن هذا الكاتب قد خلط بين جريدة « الحجاز » هذه وبين جريدة « المدينة المنورة » التي أصدرت قبل الحرب العالمية الأولى[6] ولا بد - كذلك - من أن عبدالله عبدالجبار[7] ومحمد سعيد العامودي[8] كانا يقصدان جريدة « الحجاز » هذه عندما قالا بأن جريدة تركية - لم يسمياها - كانت تصدر في المدينة خلال الحرب العالمية الأولى[9].

إن تاريخ انقطاع جريدة « الحجاز » عن الصدور غير معروف ، فلقد قال الزركلي بأن بدر الدين النعساني قد « اصدر الجريدة [الحجاز] ستة

(١) « القبلة » ، عدد ٧٢ (٢ - ٧ - ١٣٣٥ / ٢٤ - ٤ - ١٩١٧)

(٢) انظر « تاريخ الصحافة العربية » ، ج ٤ (بيروت ١٩٢٣) ، ص ٩٢

(٣) انظر كتابه السابق ، ص ١٩٠

(٤) انظر العدد ٥ ، ١٩٦٤

(٥) « أم القرى » عدد ٢١١ (١١ - ١ - ١٩٢٩)

(٦) إن التاريـخ الذى ذكره محرر « أم القرى » ينطبق - إلى حد كبير - على جريدة « الحجاز » ، وحيث أن أحداً سواه لم يذكر « المدينة المنورة » كجريدة من الجرائد التي صدرت بعد الحرب العالمية الأولى ، وحيث أن هذا المحرر لم يذكر - في حديثه عن صحف الحجاز التي صدرت قبيل الحرب العالمية الاولى جريدة المدينة المنورة التي صدرت في المدينة في ١٦ - ١١ - ١٩٠٩ ، والتي لم تعش سوى فترة قصيرة ، فإن من المرجح أن يكون قد اختلط عليه الأمر ، وأنه إنما يقصد هنا جريدة « الحجاز » .

(٧) انظر « التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية » ، (القاهرة ١٩٥٩) ص ١٥٦

(٨) أنظر « من تاريخنا » (بيروت ١٩٦٧) ص ١٨٩

(٩) لقد أضاف العامودي إلى ذلك قوله بأنه لم ير هذه الجريدة ، ولا يتذكر اسمها .

اشهر ، ورجع إلى دمشق ... » ، [1] ولكنه لم يبين ما حدث لجريدة « الحجاز » بعد رحيل النعساني .

وقد تحدث محرر « القبلة » عن جريدة « الحجاز » بعد ستة اشهر من صدورها ، وأشار إشارة لا تخلو من تعريض إلى أنها قد عانت كثيراً من قلة الورق ، وأن ذلك قد اضطرها إلى الاحتجاب موقتاً فقال بأن : « ... في العدد الذي اطلعنا عليه منها اموراً لا بأس أن نذكرها ، فمن ذلك أنها مطبوعة على وريقة صغيرة من نوع رديء ، وفيها اعتذار عن احتجابها قبل صدور ذلك العدد لعدم وجود الورق ، وأن أحد الموظفين اهدى لإدارتها مقداراً من ذلك الورق الذي لا يصلح للطباعة والكتابة فنشرت به ذلك العدد الذي اطلعنا عليه ، ولكن على وجه واحد بسبب رقة الورق » [2] .
إن آخر ما استطعت الاطلاع عليه من اعداد جريدة « الحجاز » هو العدد ١٠٥ المؤرخ في ٢٤ مارس ١٩١٧ . ومهما يكن فلا بد من أن جريدة « الحجاز » قد احتجبت عن الصدور قبل أول يناير ١٩١٩ ، وذلك حين سلم الأتراك المدينة لقوات الشريف حسين .

الفلاح :

في عام ١٩٢٠ حكمت السلطات الفرنسية في دمشق على عدد من السوريين بالإعدام ، وكان من بينهم عمر شاكر صاحب ومؤسس جريدة « الفلاح » التي صدرت في أول الأمر في دمشق في ٣١ اكتوبر ١٩١٩ [3] . وحيث أن عمر شاكر قد تمكن من الهرب إلى مكة ، فقد عاد إلى اصدار صحيفته فيها ، فظهرت في ٢٤ - ١٢ - ١٣٣٨ / ٨ - ٩ - ١٩٢٠ [4] ،

---

(١) « الأعلام » ، ج ٧ ص ٣٢٣ .
(٢) « القبلة » ، عدد ٧٢ (٢ - ٧ - ١٣٣٥ / ٢٤ - ٤ - ١٩١٧) .
(٣) انظر فيليب دي طرازي ، كتابه السابق ص ٤٦ .
(٤) يقول فيليب دي طرازي (كتابه السابق ص ٩٢) بأن « الفلاح » قد صدرت بمكة في ٢٦ - ٩ - ١٩٢٠ : ولكن قوله هذا لا يتفق مع تاريخ أول عدد من أعدادها المكية الذي أرخ في ٨ - ١٩٢٠ .

واعتبر عمر شاكر عام صدورها في مكة سنتها الثانية [1] .

تتكون « الفلاح »من أربع صفحات كبيرة الحجم فكانت تظهر مرتين في الاسبوع في باديء الأمر، ولكنها أصبحت أسبوعية بعد ١٧ أكتوبر ١٩٢٠ وقد وصفت الجريدة نفسها بأنها «جريدة عربية جامعة تخدم العرب والعربية» وكان شعارها هو : « حي على الفلاح » ، أما هدفها فقد كان العمل من أجل استقلال بلاد العرب ، والدفاع عن حقوقهم [1] . وكانت « الفلاح » في سنتها الأولى بمكة متأثرة بشخصية محررها الذي كان — كما وصفه ناظر الصحة في الحكومة الهاشمية بجدة — « صريحاً مفرطاً في اندفاعه »[2]، فكانت مقالاتها تتسم بالحماسة واستثارة العاطفة ، وكانت تكرس نفسها لخدمة القضية السورية . ولكن هذا الحماس بدأ يتضاءل بعد ذلك ، وصار اهتمامها بشؤون الحجاز يزداد يوماً بعد يوم حتى أصبحت شبيهة بجريدة «القبلة» في آخر الأمر.

لقد كانت جريدة «الفلاح» أكثر الصحف الهاشمية تأثراً بالمفاهيم والاتجاهات الصحفية الحديثة ، إذ أنها قد خصت الأخبار بجزء كبير من صفحاتها ، وإذ أنه قد كان لها مراسلون ومخبرون صحفيون . وبالإضافة إلى ذلك فقد كانت مواد الجريدة متنوعة ، فلم تقصر نفسها على المقالات السياسية ؛ بل كانت تنشر مقالات اجتماعية وعلمية ومواد فكاهية ، وكانت تحرص — كذلك — على نشر الصور الفوتوغرافية التوضيحية . ولهذا كان مظهرها أكثر حيوية وإشراقاً من مظهر أي صحيفة أخرى من صحف هذا العهد .

لم تول «الفلاح» ميدان الأدب شيئاً من اهتمامها ، ولكنها لم تكن وحدها في ذلك ، فإن جميع صحف العهد الهاشمي قد شاركتها في هذا الاتجاه . ومهما يكن فإنه يبدو أن إسهامها الأدبي الوحيد هو أن مقالاتها السياسية والوطنية قد كتبت بأسلوب أدبي مؤثر ، فأسلوب تحريرها يشبه أسلوب

---

(١) حيث أن عمر شاكر قد نسي - كما قال هو نفسه - في العدد الثالث (١٠ - ٩ - ١٩٢٠) « أصل العدد المتسلسل اعتباراً من صدور الجريدة في دمشق » فقد كان يرقم اعداد كل سنة بأرقام خاصة بها .

(٢) انظر « الفلاح » ، عدد ٣ (١٠ — ٩ — ١٩٢٠) .

(٣) انظر « بريد الحجاز » ، عدد ١٩ (٢٨ — ١ — ١٩٢٥) .

«القبلة» من حيث الإشراق والوضوح ، ومن حيث تأثره القوي بطرق التعبير الأدبية الجزلة . ولم تكن صفحات « الفلاح » مجالاً تلتقي فيه أقلام عدد كبير من الكتاب ، ذلك لأن رئيس تحريرها – كما يبدو – هو الذي يحرر معظم موادها ، أما اسهام كتاب الحجاز المحليين فيها فقد كان ضئيلاً جداً .

ويبدو أن « الفلاح » قد عانت من الصعوبات المالية ، ذلـك لأن ناظر الصحة في الحكومة الهاشمية قد قال عن عمر شاكر – حين تأبينه له [١] – بأنه قد أصبح في وضع مـالي حرج بعد عام ١٩٢٢ [٢] . وإلى جانب هذه الصعوبات المالية فقد توقفت «الفلاح» عن الصدور مرات، فاحتجبت حين صدر بلاغ رسمي نشر في جريدة القبلة في ٤ أكتوبر ١٩٢٠ جاء فيه : « بناءً على بحث صحيفة الفلاح في مواضيع غير مناسبة تقرر تعطيلها لمدة غير معينة »، ولكن احتجابها لم يطل ، إذ أنها ما لبثت أن عادت إلى الصدور في ١٧ أكتوبر ١٩٢٠ . ولعل أطول فترات هذا الانقطاع هي تلك التي أشارت إليهـا الجريدة نفسها في ٢٥ أغسطس ١٩٢٣ ، وذلك عندمـا قالت بأنها كانت قد توقفت عن الصدور « طول هذه المدة » [٣] . إن مدة هذا الاحتجاب غير معروفة ، ولكن في مجموعتها التي اطلعت عليها انقطاعاً لا يعرف سببه بين العدد ٢٦ المؤرخ في ١٣ – ٢ – ١٩٢١ (السنة الثانية) والعدد الأول المؤرخ في ٢٥ – ٨ – ١٩٢٣ (السنة الخامسة) ، وربما كان سبب هذا الانقطاع هو ما أشار إليه ناظر الصحة بجدة من أن عمر شاكر قد هاجر إلى القاهرة حول عام ١٣٤٠/١٩٢١ أو ١٩٢٢ هجرة لم يلبث أن عاد بعدها إلى الحجاز [٤] وحين عادت « الفلاح » إلى الصدور في ٢٥ أغسطس ١٩٢٣ وصف محررهـا سنة ١٩٢٣ بأنهـا السنة الخامسة من عمر الجريدة ، ولكنه ليس بواضح هل صدرت الجريدة طوال عام ١٩٢١ وفي عام ١٩٢٢، أم أن المحرر كان يعد سنواتها ابتداء من تاريخ صدور أول أعدادها صارفاً النظر عما تعرضت له الجريدة من انقطاع موقت عن الصدور .

---

(١) لقد قتل في مطلع عام ١٩٢٥ في حادث جوي .

(٢) انظر « بريد الحجاز » ، عدد ١٩ (٢٨ – ١ – ١٩٢٥) .

(٣) « الفلاح » : عدد ١ ، السنة الخامسة .

(٤) انظر « بريد الحجاز » ، عدد ١٩ (٢٨ – ١ – ١٩٢٥) .

وربما كان لندرة اعداد « الفلاح » ، وقلة ما يوجد عنها من معلومات أثر كبير في اختلاف من حاولوا تحديد عدد ما صدر بمكة من اعدادها . فحيث أن حسين نصيف قد ظن بأن « الفلاح » لم تصدر في مكة إلا في عامها الخامس ، فقد ذكر بأن اعدادها المكية قد بلغت ٤٦ عدداً [١] ، ولكن محرر « أم القرى » قال بأن اعدادها المكية قد بلغت بضعة وخمسين عدداً [٢]. والحقيقة أنه لم يصل احد من هؤلاء الكتاب إلى معرفة العدد الصحيح ، ذلك لأن مجموعة « الفلاح » التي اطلعت عليها والتي ليست كاملة تحوي ٧٨ عدداً . ومما يحيط به الغموض – كذلك – هو معرفة التاريخ الذي احتجبت فيه « الفلاح » عن الصدور ، إن تاريخ آخر ما اطلعت عليه من اعدادها هو ٢٠ سبتمبر ١٩٢٤ ، ولو فرض أن هذا العدد لم يكن آخر اعدادها ، فإن من المرجح أن الجريدة قد احتجبت في مطلع الشهر التالي ، وذلك عندما انسحبت القوات الهاشمية من مكة .

لقد كانت جريدة « الفلاح » شبيهة بسائر صحف العهد الهاشمي من حيث تأثرها بظروف الحرب التي كانت تعيش في ظلها ، ومن حيث غلبة روح الحماسة والاستثارة العاطفية على ما كان ينشر في صفحاتها . ولكن حيث أنها لم تكن جريدة رسمية أو حزبية ، فقد كانت تتمتع بشيء من الحرية في التعبير عن ميولها ، والتنويع في اساليبها الصحفية ، ولذلك فقد كانت متنفساً لمشاعر محررها الذي عاش في الغربة منذ أن حكم عليه الفرنسيون بالإعدام وحاولت أن توسع من افقها الصحفي ، وأن تدخل الواناً صحفية جديدة في ميدان الصحافة الهاشمية .

بريد الحجاز :

لقد ادى تطور الأحداث السياسية في الحجاز في نهاية عام ١٩٢٤ إلى انقطاع في صحافة الحجاز دام حول شهرين ، ولكن الحزب الوطني الحجازي الذي ظهر في جدة على أثر هذه الأحداث السياسية قد اصدر جريدة « بريد

(١) أنظر « ماضي الحجاز وحاضره » (القاهرة ١٣٤٩ / ١٩٣٠ أو ١٩٣١) ، ص ١٠٣ . إنه لمن المؤكد أن أعداد السنة الخامسة قد بلغت ٤٦ عدداً. ولم يكن حسين نصيف وحده في القول بأن « الفلاح » قد صدرت في مكة مدة عام واحد ، إذ أن عبد الله عبد الجبار (كتابه السابق ، ص ١٥٦) قد اتفق معه في هذا .

(٢) أنظر « أم القرى » ، عدد ٢١١ (١١ – ١ – ١٩٢٩) .

الحجاز » في ٢٦ نوفمبر ١٩٢٤ لتكون لساناً لحاله [١] ، ولتكون – كما قالت الجريدة – مصدراً « تستقي منه ابناء هذه البلاد » [٢] . وقد اعلنت الصحيفة منذ أول عدد من اعدادها بأنها ستكون « جريدة سياسية » ، والحقيقة أنها قد اقتصرت على المجال السياسي ، ولم تعالج موضوعاً آخر سواه ، حتى لقد اعتذر محررها إلى القراء من إهمال الجريدة للميادين الصحفية الأخرى [٣].

كان محمد صالح نصيف – الذي كان موظفاً في حكومة الملك علي بجدة وعضواً بارزاً في الحزب الوطني الحجازي – صاحب «بريد الحجاز» ومديرها المسؤول ، ولم تذكر الجريدة اسم رئيس تحريرها في السنة الأولى ، ولكنها ذكرته في السنة الثانية وفي ٩ ديسمبر ١٩٢٥ حين اصبح الطيب الساسي – الذي كان محرراً سابقاً في جريدة « القبلة » – رئيساً لتحريرها .

وفي افتتاحية العدد الأول من « بريـــد الحجاز » اعلن المحرر استقلال جريدته وقـــال بأن « مورد الجريدة الوحيد هو ما يجمع من الاشتراكات والاعلانات فقط دون أن نقبل أي مساعدة كانت من أي شخص كان، لنتمتع بالحرية التامة » . ولم تنكر الجريدة صلتها بالحكومة الهاشمية في جدة فحسب بل وعدت بأنها ستنتقدها وستظهر لها « مواطن الخلل اتماماً للفائدة ومحافظة على المصلحة العامة .. » [٤] . ومهما يكن ، فإنه يبدو أن الظروف السياسية التي كانت سائدة حينئذ في مدينة جدة قد حدت من هذه الحرية التي كان يأمل محرر « بريد الحجاز » أن تتمتع بها جريدته ، وجعلها خاضعة للسياسة الرسمية ومجندة في سبيل خدمتها .

لقد وعد محرر « بريد الحجاز » قراءه في افتتاحية العدد الأول بان الأعداد المقبلة ستكون أكبر حجماً ، وبأن موضوعاتها ستكون اكثر تنوعاً ولكن شيئاً من هذه الوعود لم يتحقق ، وذلك بسبب ضعف وسائل التحرير والطباعة التي كانت مهيأة للجريدة . ولم تكن « بريد الحجاز » إبان نشأتها قانعة بان تصبح نشرة سياسية محلية ، بل ارادت أن توسع من آفاقها الصحفية وأن تشارك في نشر الأخبار العالمية ، ولكنها ظلت حتى آخر عـــدد من

---

(١) انظر « بريد الحجاز » ، عدد ٣٨ (١٢ – ٤ – ١٩٢٥) .
(٢) المصدر نفسه ، عدد ٢٨ (١ – ٣ – ١١٢٥) .
(٣) انظر المصدر نفسه ، عدد ٣٧ (٥ – ٤ – ١٩٢٥) .
(٤) المصدر نفسه ، عدد ١ .

اعدادها مجرد نشرة محليـــة صغيرة كرست نفسها – كسائر صحف العهد الهاشمي – لخدمة قضية سياسية معينة ، حتى إذا ما فشلت هذه القضيـة انقطعت عن الصدور .

كانت « بريد الحجاز » تصدر مرتين في الأسبوع ، وكانت تتألف من اربع صفحات صغار، تطبع في المطبعة الشرَفية بجدة. وحيث أن الجريدة قد عانت من ضعف وسائلها الطباعية والتحريرية ، فإنها لم تصدر سوى ٥٤ عدداً في سنتها الأولى وعددين في سنتها الثانية . وقد اعتذر المحرر في افتتاحيةاول اعداد السنة الثانية مما حدث للجريدة من اضطراب في مواعيد صدورهـا ، ووعد القراء بتلافي ذلك في اعدادها المقبلة [١] ، ولكن الجريدة لم تعش بعد هذا طويلا ، ذلك لأنها قد احتجبت بعد اسبوعين [٢] حين تنازل الملك علي عن العرش وغادر جدة في ٢٢ ديسمبر ١٩٢٥ .

مجلة مدرسة جرول الزراعية :

في مطلع شهر رجب ١٣٣٨/٢١مارس ١٩٢٠ صدرت بمكة هذه المجلة التي تعتبر أول مجلة تظهر في الحجاز ، وكانت « مجلة فنية زراعية تجارية صناعية تصدر في أول أسبوع من كل شهر » . ويتكون عددها الأول من ٣٠ صفحة، أما العددان الثاني والثالث فيتكون كل منهما من ٣٢ صفحة . وقد أصدرها أساتذة وطلاب المدرسة الزراعية بمكة ، وكان هاشم المعري هو مديرهـــا المسؤول . وحيث أن هذه المجلة لم تكن تنشر من المواد إلا ما كان ذا صلة بالزراعة والعلوم الطبيعية ، فإن ظهورها يعتبر مهماً من الوجهة التاريخية ، ذلك لأنها تمثل لوناً جديداً من ألوان الصحافة في الحجاز ، وترسم اتجاهاً يخالف ذلك التيار السياسي الذي سيطر حينذاك على الصحافة الهاشمية . لم تعمر هذه المجلة طويلاً ، بل انقطعت عن الصدور – كما جاء في مقالة محرر « أم القرى » (عدد ٢١١) – بعد صدور عددها الثالث [٣] .

(١) انظر العدد ٥٥ (٩ – ١٢ – ١٩٢٥) .

(٢) إن تاريخ العدد ٥٦ الذي هو آخر ما يوجد من اعدادها هو ١٣ – ١٢ – ١٩٢٥.

(٣) يتفق كل من محمـــد سعيد العامودي (كتابه السابق ص ١٩٣) وعبد الله عبد الجبار (كتابه السابق ص ١٥٧) مع مـــا جاء في « أم القرى » من أن هذه المجلة لم تصدر سوى ثلاثة أعداد . والحقيقة أنه لا يوجد منها الآن – كما أعلم – سوى ثلاثة أعداد . ومهما يكن ، فليس في العدد الثالث الذي صدر في غرة شوال ١٣٣٨ / ١٨ يونيو ١٩٢٠ ما يشير إلى أنها كانت تنوي أن تحتجب عن الصدور .

خاتمـة :

وختاماً لما سبق ذكره ، فإن من الملاحظ أنّ صحف العهد الهاشمي تمثل مظهراً من مظاهر التطور في صحافة الحجاز ، فقد توافر لهـا من الكفاءة في التحرير ما جعلها تمتاز على صحف العهد العثماني – التي كانت أقصر عمراً وأقل نجاحا في تحقيق أهدافها الصحفية – بوضوح الفكر وجمال الأسلوب .

لقــد تطورت الصحافة في هذه الفترة من حيث شكلها ومضمونها ، واتسمت أساليب تحريرها بالوضوح والجزالة ، ولكنها تشبه صحف العهد العثماني في أن موضوع السياسة قد استحوذ على أكبر قدر من صفحاتها. وحيث أن الصحف الهاشمية قد ظهرت في ظروف سياسية حساسة ، وأنها كانت ذات صـلات رسمية قوية ، فقد غلبت الصبغة الرسمية عليها ، وقللت هذه الأحداث السياسية من فرصة إسهامها في ميادين أخرى غير الميدان السياسي .

لقد كان إسهام كتاب الحجاز المحليين في الصحف الهاشمية قليلاً إذا مـا قورن بما أسهم به زملاؤهم العرب المهاجرون ، وربما كان هذا يعود إلى أن هذه الصحف التي أنشئت لمعالجة القضايا السياسية المعاصرة لم تجد بين أبناء الحجاز صحفيين مجربين يتولون القيــام بهذه المهمة . ومهما يكن فإن إنتاج هؤلاء الكتاب والصحفيين المهاجرين قد كان من أهم العوامل التي أثرت في كتاب الحجاز الناشئين ، وكانت تلك المقالات البليغة الجزلة التي كتبها فؤاد الخطيب وزملاؤه مصدراً من المصادر التي أوحت لهؤلاء الشبــاب بالتعلق بالصحافة والأدب . ولقد سد هؤلاء الصحفيون والكتاب الفراغ الذي وجد حينئذٍ في الحجاز بسبب تأخر نهضته الصحفية ، كما أنهم قد سقوا تلك البذور التي نمت في العقدين التاليين حيث قام كتاب الحجاز الناشئون بأمر الصحافة في وطنهم وتولوا توجيه الحركة الأدبية في بلادهم .

الرياض – **محمد الشامخ**

مَعَ ٱلقُرَّاءِ.. فِي أَسْئِلَتِهِمْ وَتَعْلِيقَاتِهِمْ

١ ــ ملاحظات واستدراكات

[طالع الأخ الاستاذ حمــد بن محمد العبيدي أجزاء متفرقة من مجلة « العرب » وسجل هــذه الملاحظات التي ننشرها مقرونة بالشكر والاستزادة]

جاء في الجزء الأول من السنة الثانيــة صفحة ٩٢ سطر٣ . الغريف الخ تعلمون انه يوجد في جنوب مدينة الخرمة بوادي سبيع قرية عمرت في السنين الماضية واتسعت بالمزارع تعرف باسم الغريف ويسكنها فخذ من قبيلة سُبيـع يقال لهم العَمْرية يجاورهم بعض الحضر من أهل بلدة الخرمة .

وجاء في الجزء الثاني من نفس السنة صفحة ١١٤ سطر ٧ الدهلوي الخ فقد كان المرحوم الشيخ عبد الستار الدهلوي من اصدقاء المرحوم والدنا محمـــد العبيدي وكثيراً ما حضرت جلساتها في ديوان الوالد،أو في دكان الدهلوي في جهة سويقة القديمة قرب باب الدُّريبة وكثير مـــا كان يستعلم من والدنا عن القبائل وما إلى ذلك .

وجاء في نفس الجزء صفحة ١٨١ سطر ١٥ ابن حريب الخ فالمعروف ان آل حريب او الحربة من البيوت القديمــة المعروفة في مدينتي الطـــائف وتربة ، ومنهم الشيخ حامد بن حريب وأخيه عبد الإله وكانا من أصدقاء والدنا رحمهم الله جميعاً وفي أثناء حديث لهم علمت انهم من الحريبات فخذ من قبيلة جُهَيْنة وتحضروا .

وجاء في الجزء الرابع من نفس السنة صفحة ٣٧١ سطر ٤ الرايس الخ فالجار ما زالت معروفة للآن وتقع شمال الرايس بحوالي ٨ ــ ١٠ كيلاويمكن الوصول اليها من الكيل ٢١٠ طريق جده المدينة ثم من هــذا الكيل إلى الرايس حوالي ٢٨ كيلا ومنه إلى الجار أو البريكة كما تعرف .

وجاء في الجزء الخامس من نفس السنة صفحة ٤٢٢ سطر ١٧ واحتي معان ودادان الخ فمعروف ان واحة (دَدَان) هي مدينة العلا وقد جاء في سفر حزقيال ذكر لددان بانها كانت تبيع إلى صور طنافس اكركوب كما جاء في بعض النقوش التي وجدت في الجنوب ذكر لها بانها مكان يستورد منه خدام المعابد .

وفي الجزء السادس من نفس السنة صفحة ٤٩٧ سطر ٧ الرين الخ الرين نبات شجيري ينمو برياً وهو من العائلة الخبازية ولا تأكله الماشية ما عدا ازهاره فقط .

وفي نفس الجزء صفحة ٥٠٢ سطر ٤ القضب الخ هو اسم البرسيم في عسير وأعالي الحجاز كما يوجد نبات شجري ينمو في منطقة جازان يعرف أيضاً بهذا الإسم ولنا أمل كبير في أن يفصل الأستاذ العقيلي في وضع مؤلف عن النباتات في تلك الجهة يصف فيه النبات كله مع وضع أسمه المحلي وحبذا لو يضيف رسوماً ولو برسم اليد لشكل الورقة والزهرة والثمرة الخ ليكون عوناً لمن يبحث مستقبلاً في تصنيف تلك النباتات .

وجاء في نفس الجزء صفحة ٥١٠ سطر ١٩ البيض الخ فالمعروف أن المرحوم الشريف خالد بن منصور بن لؤي وهو من القادة المشهورين الذين شاركوا المغفور له الملك عبد العزيز قد توفي على أثر مرض في ذلك الوادي ودفن فيه أثناء الخلاف بين السعودية والمتوكلية اليمنية سابقاً .

وجاء في الجزء الثامن من نفس السنة صفحة ٧٦٢ سطر ١٨ تعليقكم الخ فالاقحوان أو القحويان كما يعرف بلهجة البادية نبات عشبي عرف منذ القدم في نجد، وشاهدته في روابي الحجاز والسراة أما نبات عباد الشمس فهو مستورد حيث جلبه المهاجرون من أمريكا وبهذه المناسبة أذكر شطراً من بيت لشاعر من البادية يصف أسنان حبيبته بقوله : أبو ثنايا كأنها القحويان الخ .

كما جاء في الجزء التاسع من نفس السنة صفحة ٧٨٠ سطر ٣ كثيراً ما يضع

بعض الكتاب ساية ورهاط ضمن القرى التي قرب المدينة المنورة مع أنها بعيدة عنها وهي إلى مكة المكرمة أقرب .

وجاء في نفس الجزء صفحة ٨١٠ سطر ٧ التقيين بمعنى التزيين الخ فـــاسم القينة وخاصة في جنوب نجد يطلق على العبدة فيقولون فلانة قينة فلانة كما يقولون فلانة ُتقَيّن فلانة أي تزيّنها كما أوضحتم أيضاً .

وجاء في الجزء الحادي عشر من نفس السنة ص ٩٦٥ سطر ٢ الخرار الخ يوجد مرفأ يقع بعد رابغ شمالا يعرف بهذا الاسم منذ القدم كما يوجد شميب يسار الداخل إلى وادي رهجان لمن كان مصعداً من نعمان يعرف أيضاً بالخرار.

وجاء في نفس الجزء صفحة ٩٧٦ سطر ٢١ تعليقكم الهـدة ألخ فالهدا أو الهدة أو هدة الشام ليست قريبة من رهاط بل هي وادٍ مقفل يمتد في الشمال إلى الجنوب ويمكن الوصول إليه من وادي مَرِّ أو وادي عسفان عبر طريق مكة إلى المدينة وتوجد في أعلى وادي هدة الشام ثنية يمكن الطلوع منها إلى قرية البرزة ومنها إلى قرية مدركة ومنها إلى رهاط عبر عقبة مهدت أخيرا ومنها إلى قرى رهاط العديدة .

وجاء في الجزء الثاني عشر صفحة ١٠٦٦ سطر ١٤ الكيني الخ فالمعروف أنه يوجـــد قماش نسائي يعرف باسم كيناوي أو كين بكسر الكاف وكانت النساء في نجد يعملن منه ثياباً ومقاطع تعرف أيضاً بهذا الاسم وأرجح أنه تحريف شيناوي أي صيني – والصين تشتهر بالأقمشة المصنوعة من الحرير .

وفي نفس الجزء صفحة ١١٠٨ سطر ٩ صرْوعة الخ فصروعة قرية قديمة معروفة في أسفل وادي مَرّ (فاطمة) قبل حداء لمن انحدر من الوادي وهي الآن دامرة بسبب نضوب مياهها ولا يمر بها طريق مكة المدينة لا قديماً ولا حديثاً، ويمكن الخروج بعدها عبر عقبة صغيرة تسمى كرى إلى الفج الكريمي الذي كانت تمر به القوافل فيما بـين مكة والمدينة ويوجد اليوم فيه الطريق المسفلت فيما بين مكة والمدينة .

وفي نفس الجزء صفحة ١١٢١ سطر ١٤ باب الجار الخ فالجار كما هو معروف ميناء المدينة قديماً ويقع شمال الرايس وهي معروفة لليوم وما زالت آثارهـا ظاهرة للعيان .

وجاء في نفس الجزء صفحة ١١٢٨ سطر ٢١ ودك الخ فالودك هو الدهن المستخرج من الشحم الحيواني وعلى الذكر الدهن المستخرج من نخاع العظم يسمى قطفة والمستخرج من الزبد يسمى دهن وسمن .

وجاء في الجزء الأول للسنة الثالثة صفحة ١٤ حاشية ١ القوبع الخ فالقوبع أيضاً طائر معروف من فصيلة القنابر يوجد في بلادنا وله تغريد عذب ، ومن أقربائه المكاء وهو طائر معروف من قديم الزمن ويسمى الآن أم سالم وقد ورد ذكر للمكاء في شعر امرىء القيس بقوله : كان مكاكي الجوا الخ والقوبعة التي يلبسها سكان تهامة ويصنعونها من سعف الدوم تسمى طفشة .

وجاء في نفس الجزء صفحة ٣٦ سطر ١٥ شجر الكينا الخ شجر الكينا لا ينمو في بلادنا والذي يعنيه الأستاذ العقيلي هو شجر الكافور أو (اليوكالبتوس) وهو يعرف خطأ باسم الكينا ، كذلك شجر الشورة وهو نبات معروف ينمو في الشواطىء الطينية للبحر ويعرف بهذا الاسم العلمي (افسينا) نسبة إلى ابن سيناء .

وجاء في نفس الجزء صفحة ٢٦٥ سطر ١٦ طفيل ألخ فطفيل الجبل المشهور يقع جنوب شرق جدة ويمكن مشاهدته من مرفأ الشعبية جنوب مدينة جدة على بعد حوالي ٨٥ كيلا ويرى في جهة الشرق منها وخلفه جبل شامة وقد قرنهما بلال رضي الله عنه في شعره : وهل يبدون لي شامة وطفيل .

وجاء في الجزء الساس نفس السنة صفحة ٥٧٤ سطر ١٣ الجار الخ الجار ما زالت آثاره ظاهرة للعيان ويعرف الآن باسم البريكة وقد شاهدتها مع بعض الزوار أكثر من مرة حتى أن رصيف الميناء ما زالت بعض أحجاره باقية حتى الآن .

وجاء في الجزء السابع صفحة ٥٨٢ سطر ١٥ الا انه يبيل الدم ، الخ . فهذا يُؤيد وجود قواقع (البلهارسيا) في بلادنا من قديم والقوقع يعيش في المياه الراكدة وعندما يتعرض له الإنسان يصاب بالمرض .

وفي نفس الجزء صحفة ٦٠٧ سطر ٢٢ عقرباء الخ . . روضة عقرباء عمرت منذ سنوات خلت وبها الآن عدد من المزارع .

(للبحث صلة) جدة : حمد بن محمد العبيدي

حول الأفلاج

جاءتنا رسالة من أحد أبنائنا ، هو وقيّان بن عمر آل لحيان يعلق فيها على مقال الأستاذ عبد الله الماجد الذي نشر في صفر ١٣٨٨ ، ومما جاء في ذلك التعليق :

١ – قرن ليس هو السيح ، لأن الأصفهاني ذكر أنها على فرسخ من من الزرنوق . وقال الأستاذ عبد الله بن عبد العزيز الفالح : إن آثار قرن باقية الآن ، شرق قرية الصفو على بعد إثنا عشر كيلاً من ليلى، وأطلال قرن وآباره واضحة ، وخط الإسفلت يشكل الخط الغربي لقرن .

٢ – الزهدمي يقع جنوب شرقي السيح .

٣ – إن قرية السيح قامت على أنقاض سيح الرقادي وسيح أطلس ، وليس على أنقاض قرن .

٤ – حصن مرغم يعرف الآن باسم قصر العنقري .

٥ – وادي كرز ووادي أكمة ، ووادي الأحمر كلها تطلق على مسمى واحد هو وادي أكمة ، الذي ينحدر من أمكنة تشرف على الهضب وينتهي إلى السيح ثم إلى النهدين وفي هـذا الوادي قرى الأحمر وواسط والخرمة والروضة والصفو ثم السيح شرق هذه القرى ، وفي شمال الخرفة على جزع الوادي يقع الزرنوق وسوق الفلج القديم ، وآثارهما ماثلة للعيان ، ويفصل بينهما خط الإسفلت .

٦ – حاضرة بني جعدة التي ذكر الهمداني هي الباحة المعروفة اليوم باسم واسط وعلى أنقاض الباحة قامت واسط ، وما زالت آثار الباحة ماثلة للعيان .

مكتبة العرب

[لا تتحدث العرب في هذا الباب إلا عما يقدم لها من الكتب ، إذ المجال أوسع من أن تتحدث فيه فيما لو اهتمت بكل ما ينشر من تراثنا]

● — الاعلام

كتاب « الاعلام » لاستاذنا ابي الغيث خير الدين الزركلي أوفى كتاب حديث في التراجم فيما أعلم ، فهو عصارة فكر بحاثة جليل قل ان يضاهيه

---

٧ — الجدول يمتد من الجنوب إلى الشمال أكثر من ٤٥ كيلا ، ويصب فيه من الأدوية شطاب وحرم والثوير والهدار والأحمر إذا جاد سيله، وفيه النهيدان — وهما هضبتان صغيرتان — والثلثان وأبيض نثيل والحسينية ، وهذه مناهل للباديتين وفي أبيض نثيل يقول الشاعر الشعبي :

يا الله اليوم لا يسقيك يا ابيض نثيل   يوم شدّوا عرب خلّي وانا فوق ماه

والجدول : أرض خصبة يجود نبتها أيام الربيع ، وفيها آبار كثيرة قديمة وحديثة .

٨ — سمي وادي أكمة لوجود هضبة كبيرة شرق منهل الروقية ببعد ١٥٠م تقريباً ، والهضبة على جزع الوادي من الجنوب منعزلة عن الجبال ، وسمي الأحمر نسبة لقرية بهذا الإسم يقال إنها سميت بذلك لكثرة ما أريق في شوارعها من الدماء عندما حاولت قبيلة الدواسر الاستيلاء على تلك القرية ، ونزعها من سكانها القدماء آل داود وآل راجح ، وقد استولى الدواسر عليها وسكانها الآن الشكرة منهم .

هذا ملخص ما ذكر الأديب الفاضل وقيان بن عمر آل لحيان من بلدة واسط في الأفلاج .

و « العرب » تقدم له شكرها متمنية له التوفيق .

[لا تتحدث العرب في هذا الباب إلا عما يقدم لها من الكتب ، إذ المجال أوسع من أن تتحدث فيه فيما لو اهتمت بكل ما ينشر من تراثنا]

● – الاعلام

كتاب « الاعلام » لاستاذنا ابي الغيث خير الدين الزركلي أوفى كتاب حديث في التراجم فيما أعلم ، فهو عصارة فكر بحاثة جليل قل ان يضاهيه

---

٧ – الجدول يمتد من الجنوب إلى الشمال أكثر من ٤٥ كيلا ، ويصب فيه من الأدوية شطاب وحرم والثوير والهدار والأحمر إذا جاد سيله، وفيه النهيدان – وهما هضبتان صغيرتان – والثلثان وأبيض نثيل والحسينية ، وهذه مناهل للباديتين وفي أبيض نثيل يقول الشاعر الشعبي :

يا الله اليوم لا يسقيك يا ابيض نثيل   يوم شدّوا عرب خلّني وانا فوق ماه

والجدول : أرض خصبة يجود نبتها أيام الربيع ، وفيها آبار كثيرة قديمة وحديثة .

٨ – سمي وادي أكمة لوجود هضبة كبيرة شرق منهل الروقية ببعد ١٥٠م تقريباً ، والهضبة على جزع الوادي من الجنوب منعزلة عن الجبال ، وسمي الأحمر نسبة لقرية بهذا الإسم يقال إنها سميت بذلك لكثرة ما أريق في شوارعها من الدماء عندما حاولت قبيلة الدواسر الاستيلاء على تلك القرية ، ونزعها من سكانها القدماء آل داود وآل راجح ، وقد استولى الدواسر عليها وسكانها الآن الشكرة منهم .

هذا ملخص ما ذكر الأديب الفاضل وقيان بن عمر آل لحيان من بلدة واسط في الأفلاج .

و « العرب » تقدم له شكرها متمنية له التوفيق .

احد في سعة اطلاعه على المؤلفات قديمها وحديثها ، وهو خلاصة مئات من الكتب والمطبوعات ألفت في التراجم ، بحيث يصح القول بأن « الاعلام » من مفاخر عصرنا الثقافية ، وقد صدر في طبعته الاخيرة في مجلدات عشر ، وفي هذه الايام صدر المجلد الحادي عشر ، وهو المستدرك الثاني لما وقع في الطبعتين الاخيرتين ، وهذا الجزء لا يستغني عنه من يقتني احداهما ، لأنه يضيف اضافات قيمة على بعض التراجم ، ويصحح تطبيعات ، وينبه إلى اخطاء ينبغي تصحيحها ، وجاء هذا الجزء في ٢٩٤ صفحة في طباعة انيقة فاخرة .

● – اساطير شعبية من قلب جزيرة العرب

ويوالي صديقنا الاستاذ عبد الكريم الجهيمان دراسة تراثنا الشعبي ممثلاً في قصصه وامثاله ، وقد اخرج عنهما كتابين يقع كل واحد منهما في ثلاثة مجلدات وها هو الآن يصدر المجموعة الرابعة من « اساطير شعبية من قلب جزيرة العرب » يحوي ٣١ سالفة (سبحونة) والأخيرة هي الكلمة المستعملة في نجد للقصص الشعبية ، وهذا الجزء الأخير يقع في ٤١٥ صفحة بطباعة حسنة ، وقد ازدانت كل سبحونة برسم خيالي طريف ، وقد وعد الاستاذ الصديق في هذا الكتاب بأنه سيعود لنشر الجزء الرابع من كتاب « الامثال الشعبية » .

وإن مما يُحمد لأبي سهيل اتجاهه إلى هــذه الناحية من تراثنا بالتدوين والنشر ، وهو من الأفذاذ الذين خصوا هذا الجانب بجهودهم واهتمامهم .

● – مدائن صالح

صديقنا الأستاذ محمــد عبد الحميد مرداد من أكثر أدبائنا وباحثينا أسفاراً وأطولهم رحلات في كثير من أنحاء العالم ، وفي داخل بلادنا ، وكان من أثر هذه الرحلات مؤلفه القيم الذي دعاه « مدائن صالح أروع البلدان السياحية في المملكة العربية السعودية » وهو جزء ستتبعه أجزاء إن شاء الله وهذا الجزء حافل بوصف مدائن صالح وذكر سكانها قديماً وحديثاً ، مع معلومات قيمة عن البلاد المجاورة لها ، وهو يضيف معلومات جديدة طريفة حقاً ، ولهذا كان على درجة من الإمتــاع تستهوي القارىء وعلى جانب من التحقيق يفيد الباحث ، وقد جاء هذا الجزء في ٤١٦ صفحة .

● – إصلاح المساجد من البدع والعوائد

علامة الشام السيد جمال الدين القاسمي كما وصفه الأستاذ محب الدين الخطيب – رحمه الله – مصباح من مصابيح الإصلاح الإسلامي ، التي ارتفعت فوق دياجير حياتنا الحاضرة المظلمة في الثلث الأول من القرن الهجري الرابع عشر ، ومن أجل كتبه فائدة في الجانب الاصلاحي « إصلاح المساجد من من البدع والعوائد » وعنوانه يدل على موضوعه ، وهو لا يقف عند حد ما يتعلق بالمساجد بل يتناول كثيراً من البدع التي أضيفت إلى الدين وليست منه . وراجت في هذا العصر وقبله ، وقد طبع الكتاب للمرة الثانية طباعة حسنة في ٢٨٠ صفحة ، وقام بنشره المكتب الإسلامي بعد أن قام أستاذنا محدث الشام الشيخ ناصر الدين الألباني بتخريج أحاديثه وبالتعليق عليه تعليقاً أكمل جوانب من الكتاب ، وأوضح بعض ما يحتاج إلى إيضاح .

● – تاريخ الكويت السياسي

وصدر للاستاذ حسين خلف الشيخ خزعل القسم الاول من الجزء الخامس من «تاريخ الكويت السياسي» ويتضمن تاريخ احمد الجابر الصباح (١٣٣٩هـ–١٩٢١م) إلى (١٣٦٩ هـ – ١٩٥٠ م) . وهذا القسم كأجزاء الكتاب السابقة حوى كثيراً من الوثائق التي تتعلق بتاريخ الجزيرة لا الكويت وحدها، وفيه تفصيلات وافية يسوقها المؤلف عرضاً ذات فائدة كبيرة في تاريخ الامة العربية كلها ، ويقع هذا الجزء في ٢٨٠ صفحة ، قد ازدان بالرسوم لكثير من مشاهير العرب ، وطبع طباعة حسنة على ورق صقيل .

● – جلّنار

صديقنا الاستاذ ابراهيم خليل علاف من شعراء بلادنا المعروفين ، وشعره – وان كان قصير النفس في كثير من الاحوال – الا انه يتسم بالجدة وبالجمال ايضاً وقد صدر له هذه الايام ديوانه الثالث الذي سماه « جلنار » وجلنـار – كما هو معروف – كلمة فارسية معناها : زهر الرمان . ويقع هذا الديوان في ٩٦ صفحة من القطع الصغير ومن ألطف مقطوعات هذا الديوان ما نظمه وهو في لبنان ، مع كثرة لطائفه .

● رسالة افتتاح الدعوة

قام العبديون الذين حكمون مصر حقبة من الزمن بنشر مذهب باطني معروف رأي علماء الاسلام فيه ، غير أن جوانب كثيرة من ذلك المذهب كان يكتنفها الغموض، وفي الآونة الاخيرة نشرت مؤلفات كثيرة لعلماء هذا المذهب ودعاته ، وكان من آخر ما قرأنا « رسالة افتتاح الدعوة » لقاضي قضاة تلك الدولة النعمان بن محمد من أهل القرن الرابع الهجري ، قامت الآنسة وداد القاضي بتحقيق هـــذه الرسالة ونشرها ، تحقيقاً ينم عن عمق ادراك ومعرفة بقواعد النشر، واطلاع واسع على ما يتعلق بموضوع الرسالة من مؤلفات. وقد جاءت في ٣١٠ من الصفحات في مقدمة تقع في ٢٧ صفحة ، وفهارس وافيــة ومصور جغرافي عن مواطن الدعوة العبيدية

والواقع ان هذه الرسالة تفيد الباحثين لا في موضوعها بل يضاف إلى ذلك الجانب التاريخي الذي نرى أن الرسالة بما حوته مما يتعلق به من اهم المراجع التاريخية عن حكم العبيديين وانتشار مذهبهم .

● – الحدود والحقائق

وكرم صديقنا الدكتور حسين علي محفوظ باتحافنا بنسخة من « الحدود والحقائق في شرح الالفاظ المصطلحة بين المتكلمين من الامامية » تأليف القاضي أشرف الدين صاعد البريدي الآبي، وهو رسالة تقع في ثلاثين صفحة وطباعتها حسنة .

● – محمد روحي الخالدي

ألقى صديقنا الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد محاضرات على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية في معهد البحوث والدراسات العربية عن « محمد روحي الخالدي » رائد البحث التاريخي عــن فلسطين ، ومن فضول القول وصف هـــذه المحاضرات بالشمول والعمق ، وقد جاءت في ١٥٨ صفحة ، وهي من منشورات المعهد المذكور ، وكل من يعنى بدراسة تاريخ أمتنا في ابان نهضتها الحديثة لا يستغني عن مطالعة هذا الكتاب القيم .

العنوان: مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل. هاتف: ٢٢٩١٥
الرياض: المملكة العربية السعودية

العرب

مجلة شهرية جامعة

صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الإشتراك السنوي
١٨ ريالاً للأفراد، ٢٥ ريالاً للهيئات
الرسمية والشركات عدا الأجرة البريد
الإعلانات: يتفق بشأنها مع الإدارة
ثمن الجزء: ريالان عربيان

ملحق الجزء الاول– السنة الخامسة – رجب ١٣٩٠–ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠

دعوة للعلماء لتبيين :

حدود عرفات ـ مزدلفة ـ منى

كانت صحيفة « الدعوة » الزاهرة قد نشرت في عددها الـ ٥١ الصادر بتاريخ ١٩ / ١ / ١٣٨٦ – سؤالاً عن حدود عرفة ، وجواباً لحضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبد الله بن عقيل أحــد قضاة المحكمة الشرعية الكبرى في الرياض . وقد رأى حضرة صاحب الفضيلة الشيخ ناصر بن حمـد ال راشد الرئيس العام لمدارس البنات ، وأحد مشاهير علماء بلادنا – رأى أن الجواب بحاجة إلى زيادة إيضاح وتعقيب ، بل إلى أكثر من ذلك ، وهو قيام لجنة من العلماء لبحث حدود الأمكنة المقدسة التي يتوقف أداء شعائر الحج على عدم تجاوزها ، والقيام بتحديدها ، فكان أن كتب هذا البحث الممتع الذي تورده « العرب » بنصه ، وتعقب عليه بما هو معروف من أقوال المتقدمين من العلماء في الموضوع .

مقال الاستاذ الشيخ ناصر :

نشرت صحيفة الدعوة الغراء في العدد (٥١) الصادر بتاريخ١٣٨٦/١/١٩هـ في باب الفتاوى من إعداد الشيخ عبد الله بن عقيل لسؤال سائل عن حدود عرفة قال فيها : إنها من الجبل المشرف على عرفة إلى الجبال المقابلة له إلى مـا يلي حوائط بني عامر . ا هـ

ولما كان أكثر هذا التحديد غامضاً ، فقد رأى فضيلة المجيب إيضاح هذا الغموض بما نقله عن كتاب « مفيد الأنام » ونصه : (إن الجبل المشرف

المذكور هو الجبل العالي شمالاً عن جبل الرحمة وهو شرقي عرفة والجبال المقابلة المذكورة هي الجبال الجنوبية وهي حدٌ عرفة من جنوب. وحوائط بني عامر هي بساتين لبني عامر وكان فيها عين ونخل تنسب إلى عبد الله بن عامر ابن كريز . وهي الآن خراب وموضع العين فيما يظهر غربي مسجد عرنة الذي يسمى الآن مسجد ابراهيم، وآثار العين المذكورة موجودة الآن قرب المسجد. فحدٌ عرفة من هذه الجهة ليس هو حوائط بني عامر بل هو الذي يلي الحوائط المذكورة والذي يليها هو المسجد . ومنه يتضح أن المسجد ليس من عرفة لأن الحد لا يدخل في المحدود والحد الشامي لعرفة بطن وادي عُرَنة ، لأنه يأتي من الشمال الى الجهة الغربية الجنوبية، ووادي عُرَنة أيضاً حدٌ لعرفة من جهة الغرب لأن نفس المسجد في وادي عرنة ، فهـــذه حدود عرفة من الجهات الأربع . قال : ولم أر من حددها غيري ولكن بالوقوف والتطبيق وفق الله لي ذلك . قال : وهناك علمان فاصلان بين عرفة ووادي عرنة من جهة الغرب عن عرفة فما كان شرقاً عن العلمين فهو من عرفة وما كان غرباً منهما فهو من عرنة . انتهى .

مجال النقاش لتحديد عرفة :

ونظراً لأنني أحد السائلين والباحثين عن تحديد عرفة وغيرها من المشاعر فإن في هذا البحث مجالاً للتدقيق والمناقشة ، ورغبة مني في المشاركة في هذا فقد رأيت التعليق الآتي : سبق لي أن قمت بمحاولة لتطبيق ما رأيته من كلام الفقهـــاء في مناسكهم وبعض المؤرخين على حدود عرفة ، فتبين لي أن التطبيق المسرود بهذه الإجابة لا يتفق من حيث تعيين موقع حوائط بني عامر ، ولا من حيث الحد الشامي لعرفة وإن ثمة قصوراً في تحديد عرفة من الناحية الشرقية .

الحد الشرقي فالجنوبي :

والذي تبين لي أن حزام حدود عرفة هو على الوجه التالي :

سلسلة الجبال والهضبات الواقعة شرقي جبل الرحمة ومصلى الصخرات .

وتبدأ هذه السلسلة من الجبل العالي المسمى جبل سعد والذي يقع أدناه شمالاً عن جبل الرحمة،وتمتد السلسلة جنوبا إلى طريق نعمان، طريق الطايف الآن. والحد الجنوبي الجبال المقابلة الواقعة على يمين المسالك لطريق نعمان إلى الطائف وتمام الحد الفضاء الممتد من مقطع هذه الجبال حتى وادي عُرَنة وهذا الفضاء فيما يظهر لي هو الذي عبر عنه الفقهاء بما يلي حوائط بني عامر، حيث تقع الحوائط جنوباً عن هذا الفضاء وهناك شاهدنا آثاراً لبعض القناطر وآثاراً لبعض الآبار هناك .

الحد الغربي :

والحد الغربي هو بطن وادي عرنة الممتد من الشمال إلى الجنوب حتى يتجاوز منطقة عرفة وهناك العلمان اللذان أشار اليهما صاحب كتاب « مفيد الانام » المنصوبان على شفير وادي عرنة الشرقي .

الحد الشمالي :

والحد الشمالي الواجهة الغربية للجبل العالي (سعد) الواقع شمالاً عن جبل الرحمة، وهناك فضاء واسع واقع بين جبل سعد وبين وادي عرَنة لم أرَ أحداً من الفقهاء والمؤرخين تعرض للبحث فيه من حيث تعيين التحديد. وهذا الفضاء مقابل للفضاء الموالي لحوائط بني عامر حد عرفة من الناحية الجنوبية، ولا يقل عنه في الاتساع، وهنا تتضح الفروق بين هذا التحديد الذي قمنا بتطبيقه عدة مرات وبين ما نشر، فالتحديد المنشور باعداد الشيخ عبد الله العقيل يرى أن حوائط بني عامر تقع غرباً عن مسجد عرنة، وان ما يلي الحوائط هو المسجد .

غربي المسجد جزء من وادي عرنة :

وانه ليبدو جليا لمن تتبع هذه الآثار ان الذي يلي المسجد غرباً هو جزء من وادي عرنة يليه غرباً سفح يتصل بجبل نَمِرة، ولعل الآثار التي شوهدت هناك بقية من آثار كانت بقرية نمرة التي نزل بها النبي ﷺ ورُحلت له ناقته منها، وأتى بطن عُرَنة وخطب الناس وصلى بهم الظهر والعصر جمعاً هناك

ثم توجه إلى عرفة . لأن هذا الموضع هو الذي ينطبق عليه وصف مكان قرية نمرة كما ذكره أبو الوليد الأزرقي وغيره حيث ساق بسنده عن ابن جريج قال: سألت عطاء : أين كان رسول الله ﷺ ينزل يوم عرفة ؟ قال : بنمرة ، منزل الخلفاء إلى الصخرة الساقطة بأصل الجبل عن يمينك وأنت ذاهب لعرفة يلقي عليها ثوب يستظل به ﷺ . ومعلوم أن هذا يقع لمن يأتي عرفة عن طريق (ضبّ) من حيث أتى إليها النبي ﷺ وإذا أقبلت إلى عرفة تحف هذا الجبل فإن مسجد عرنة أمامك . ويزيد هذا وضوحاً ما نقله المحب الطبري عن الشافعي رحمهما الله ونصه : وعرفــــة ما جاوز وادي عُرَنَة ، وليس الوادي ولا المسجد منها إلى الجبل المقابل مما يلي حوائط بني عامر ، وطريق الحصن ، ومما جاوز ذلك فليس من عرفة . فعلم أن الشافعي والمحب الطبري لا يريان أن حوائط بني عامر غربي المسجد لأن المسجد يقع في نفس وادي عُرنة . يؤكد هذا ما ذكره كثير من المؤلفين في المناسك وبعض المؤرخين وتؤكده المشاهدة ، وفي المقال فإن ما نشر بصحيفة الدعوة في باب الفتاوى الذي أعده الشيخ عبد الله العقيل ينص على أن ما يلي حوائط بني عامر هو مسجد عرنة في حين أن الذي يلي المسجد هو بقية وادي عرنة .

سيل عام ١٣٦٠ ﻫ :

ولقد أتى سيل جارف في عام ١٣٦٠ ﻫ . فانحسر السيل غرباً وشرقاً عن المسجد ، وصار جزيرة في بطن الوادي ، ومعروف أن العلمين المنصوبين لحدود عرفة من الناحية الغربية قد وضعا على شفير الوادي وقد ذرع تقي الدين الفاسي ما بين ركن المسجد مما يلي عرفة إلى محاذاة العلمين الموجودين الآن – فبلــغ سبعمائـــة بتقديم السين وأربعة وسبعين ذراعاً بالحديد عن ثمانمائة وخمسة وثمانين ذراعاً بذراع اليد . هذا وقد سألت أشياخا من الجوابرة (هذيل) سكان منطقة عرفة عن الفضاء الذي ذرعه تقي الدين الفاسي وعن المظلة المقامة فيه والتي أقامها الشيخ عبد الرؤوف الصبان ، إبان توليه مديرية الأوقاف فقالوا : إن هذه المواضع ليست من عرفة ، وأكدوا لي هذا في ثقة مما يقولون . وأضافوا على حد فهمهم بأنه لما بنت الحكومة المظلة أصبحت من

عرفة . ولهذا ينبغي الاهتمام بتنبيه الحجاج بأن الوقوف بالمظلة غير مجزىء عن الوقوف بعرفة .

ومقتضى مفهوم ما نشر أن ما دون المسجد بينه وبين العلمين أنه من عرفة ويجزىء الوقوف فيه وهذا ليس بمراد قطعاً من صاحب كتاب «مفيد الانام» .

وادي عرنة ومآتيه :

وقد تضمن ما نشر بأن حد عرفة من الناحية الشمالية هو وادي عرنة ، وأن وادي عُرنة تحدد به عرفة من الناحيتين الغربية والشمالية ، والأمر ليس كذلك حيث أوضحنا تحديد عرفة آنفاً من الناحية الشمالية لأن مَن تتبّع تلك الأماكن يتضح له أن وادي عرنة يأتي من الناحية الشمالية أعلاه من « الشرايع » و « حنين » و « المغمّس » ، ويصب فيه رافد هو وادي المجاز – السوق العربية القديمة المشهورة – المتجمعة سيوله من جبل (هذيل) (كبكب) فإذا أقبل على عرفات فانه يحف الجبال الغربية ، وقبل أن يصل عرفة قد شق منه خليج لمزارع الجوابرة من (هُذيل) الواقعة غرباً شمالاً عن عرفة ، وغرباً عن وادي عرنة ، تلك المزارع التي تحف الطريق السالك للمأزمين ، ويستمر من الشمال إلى الجنوب حتى يتجاوز منطقة عرفة ، وبهذا يكون واضحاً جلياً أن وادي عُرَنة لا ينعطف من الغرب إلى الشرق، فيمكن حينئذ أن تحدد به عرفة من الناحية الشمالية .

وادي عرنة لا ينعطف على عرفة :

ويزيد هذا وضوحاً ما ذكره صاحب كتاب « شفاء الغرام » في بحثه لحدود عرفة ، وتصحيحه لبعض التصحيفات حيث قال : « ولا يصح أن يكون وادي عرنة – بالنون – لأن وادي عرنة لا ينعطف على عرفة ، بل هو ممتد مما يلي مكة يميناً وشمالاً » .

هذا ما عنّ لي من تعليق على حدود عرفة .

حدود المزدلفة ايضاً :

وبمناسبة بحث حدود المشاعر فإنّ ثمة اشتباهاً لديّ في حدّ مزدلفة من الناحية الجنوبية . لأن حدود المزدلفة من الناحية الشمالية جبل ثَبير الذي

تحفه . وغرباً وادي محسّر وشرقاً مَفضَى المأزمين ، وجنوباً من الناحية الشرقية الجبال ، هذا ملخص التحديد الذي نقله أبو الوليد الأزرقي عن ابن جريج عن عطاء .

وبعد مقطع الجبال فهناك فضاء من الناحية الغربية ممتد حتى جبال المَفْجر لم أطلع على بحث لأحد من المؤلفين في تحديد المزدلفة من ناحية هذا الفضاء .

كذلك فإنه يوجد فضاء في شرقي مِنى من الناحية الشمالية بعد مقطع مَسيل السيل الذي يصب في محسر ما بين الوادي وواجهة جبل (ثَبِير) الغربية . وهذا الفضاء ليس من مزدلفة حتماً .

وينبغي بحث ما إذا كان من منى فيصح المبيت فيه أم لا ، لأنه إذا صح أنه من منى فإن فيه متسعاً للناس ومفهوم كلام العلماء أن حد منى من الناحية الشرقية وادي محسر ، فهل محسر له حدود من الناحية الشمالية ينتهي إليها وما بعدها يكون من منى حتى ولو كان بعد تجاوز مسيل السيل من الناحية الشرقية بها ؟ أم أن محسراً يمتد شمالاً حتى يكون مسيل السيل هو الفاصل وحد منى من الناحية الشرقية حتى يتصل بالجبال الشمالية ؟ والحقيقة أن هذا بحث مهم ينبغي أن يؤلف له لجنة علمية تبحثه، وتضع قراراً ضافياً عنه ، وتضع كذلك قراراً عن الفضاء الشمالي من عرفة والفضاء الجنوبي من مزدلفة ، لأن حجاجاً كثيرين ينزلون في هذه الأمكنة ولا تحصل الطمأنينة التامة إلى أنهم نزلوا في المشاعر وقضوا بذلك أركان الحج ، وواجباته المتعلقة بتلك المشاعر .

فإذا صدر مثل هذا القرار ينبغي وضع أعلام تحدد المشاعر من هذه الجهات وتكتب عليها الإيضاحات باللغات العربية والأوردية والجاوية والفارسية.

وبالله التوفيق ،، وحرره : ناصر بن حمد الرشيد

العـــرب لقد أصبحت هذه الدعوة التي وجهها هذا العالم الجليل في عصرنا الحاضر من أولى ما يعنى به علماء المسلمين ، ذلك — ١ — أن العمران بتقدمه وازدهاره أزال كثيراً من المعالم

القديمة ، والحدود المعروفة لكثير من المواضـع . — ٢ — قد أصبح عـــدد الحجاج يزداد في كل عام ازدياداً يتطلب سعة في الأمكنة، وقد تضطر الحاجة إلى تجاوز الحدود ، إذا لم تكن موضحة ، جَهْلاً أو اضطراراً . — ٣— أن متقدمي العلمــاء جاءت عباراتهم مطلقة في الغالب حول تحديد تلك المشاعر المقدسة — ٤ — يخشى — بمرور الزمن واندارس العلم — أن تصبح حدود تلك المشاعر مجهولة ، وخاصة بعد أن تزول الأسماء القديمة ويحل محلها أسماء أخرى ، وهذا من الأمور التي تَحْدُث في كل مكان بمرور الأزمان ، ومن الأدلة على ذلـــك أن هناك من المواقع الأثرية في المدينتين الكريمتين — مكة والمدينة — ما أصبح بمرور الزمن مجهولاً ، إمـــا بسبب امتداد العمران ، كما حدث لمواضع ودور ومنازل بقرب المسجد النبوي زال أثرها ، وانطمست معالمها ، إما لإضافتها للمسجد الكريم بعـــد توسيعه في فترات متعاقبة من الزمن ، وإمـــا بامتداد بعض الأيدي التي ألحقتها بأماكن أخرى وغيّرت أسماءها ، ومثل هذا يقال في أماكن في مكة ، وفي مِنَى ، وقـــد يتصل عمران مكة بمنى اتصالاً يخفي الحدود التي لا بُدّ من معرفتها لمن يريد أن يؤدي شعيرة الحج على أكمل الوجوه .

حدود عرفات :

١ — قال ابن عباس : حَدُّ عرفة من الجبل المشرف على بطن عرنة إلى أجبال عُرنة إلى الوصيق ، إلى ملتقى الوصيق ، إلى وادي عرفة [١] .

وَصيق : قال الهجري : ووادي وسيق الذي يدفع في نعمان ، مَنشَعُهُ من كبكب، يدفع منه حيث يدفع رهجان، وقال الهذلي: وصيق بالصاد [٢].

وقال صاحب كتاب « بلاد العرب [٣] » :

وجبلانِ يقال لهما لُبنَانِ لُبن الأسفل ولُبن الأعلى ، وفوق ذلك جبل يقال له المَبْرَك،وفيه برك الفيل بِعُرَنَةَ ، وفوق ذلك جبل يقال له وصيق،

---

(١) : « أخبار مكة » للازرقي ٢ — ١٥٧

(٢) : « ابو علي الهجري » — ص ٣٨١

(٣) « بلاد العرب » ص ٢٠

أدناه لقوم من بني عبد بن عديّ من بني الدّيل ، وشقّه الآخر لبني هُذَيل . ثم بنعمانَ من جبال هُذَيل . ونعْمانُ وادٍ يسكنه عمرو بن الحارث بن تميم ابن سعد بن هذيل .. الخ

وأقول : يقع شمال جبل عرفات جبل يدعى جبل سعد ينحدر منه واد فيما بينه وبين جبل كبكب ، يتجه غرباً حتى يجتمع مع وادي رَهجان ، الوادي الذي بطرف عرفات من الشمال .

ويظهر أن اسم هذا الجبل في القديم وصيق ، وأن اسم سعد أطلق عليه لأن سكانه من بني سعد بن هُذيل ، ويدعون في الوقت الحاضر السّعايدة .

ومتى عُرف وادي وصيق اتضح الجواب عن حكم الفضاء الواقع بين جبل سعد وبين وادي عُرَنة .

وقد ذكر صاحب كتـــاب « بلاد العرب » أن أدنى وصيق لبني عدي ابن الديل .

١ – وروى الأزرقي بسنده إلى يزيد بن شيبان قال : كنا في موقف لنا بعرفة – قال يبعده عمرو بن دينار من موقف الامام جداً – قال يزيد : فأتانا ابن مربع الأنصاري فقال : إني رسول رسول الله ﷺ إليكم ، يأمركم أن تقفوا على مشاعركم هذه ، فإنكم على إرث من إرث إبراهيم عليه السلام .

ويزيد بن شيبان هذا – قيل أنه أزدي – وقيل ديلي ، فإذا ثبت بأنه ديلي فقد يكون موقف قومه في جهة وصيق إذ أسفله من بلادهم.

وقد أوضح الفاسي – كما سيأتي – أن الصواب في كلام ابن عباس : التقاء وادي وصيق بوادي عَرَفة – لا عُرَنة – .

٢ – وأورد ياقوت رواية أخرى عن ابن عباس (رض) في تحديد عرفة قال : حدُّ عرفة من الجبل المشرف على بطن عرنة ، إلى جبالها ، إلى قصر آل مالك ، ووادي عرفة [١] .

ولم يحدد ياقوت موقع قصر آل مالك ، ولا شكّ أن هذا التحديد يتفق مع التحديد الأول وإن اختلفت العبارة .

---

(١) : « معجم البلدان » مادة عرفة .

٣ـ وقال ابن رُشَيْدٍ الفهري الأندلسي: عرفة عن ما حددها الامام أبو عمرو النصري[١] عن الأزرقي في « كتاب مكة » بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال حد عرفة من الجبل المشرف على بطن عرنة إلى جبال عرفة، إلى وصيق، إلى ملتقى وَصيق ووادي عرنة: قال الإمام أبو عمرو: بطن عرنة، ووادي عرنة يضافان إلى عرنة، وقد تقدم ضبطهما. ووصيق هذا بواو مفتوحة، ثم صاد مكسورة غير منقوطة، وياء، وفي آخره قاف. وقال الشافعي: عرفة ما بين الجبل المشرف إلى بطن عرنة إلى الجبال المقابلة يميناً وشمالاً، مما يلي حوائط ابن عامر، وطريق الحصن. قال أبو عمرو: هو الحضن ـ بالحاء غير المنقوطة، والضاد المنقوطة، والمفتوحتين، وبعدهما نون، وهو اسم جبل. قال صاحب « النهاية »: وتطيف بمنعرجات عرفة جبال وجوهها المقبلة من عرفة. وقال أبو زيد البلخي: عرفة ما بين وادي عرنة، إلى حائط ابن عامر، إلى ما أقبل على الصخرات التي يكون بها موقف الإمام، إلى طريق حضن، قال: وحائط ابن عامر عند عرنة، وبمقربة المسجد الذي يجمع فيه الإمام بين الظهر والعصر، وهو حائط نخيل، وفيه عين، وينسب إلى عبد الله بن عامر بن كريز. قال الإمام أبو عمرو: هو الآن خراب، ووادي عرنة المذكور هو من جهة منى ومكة، يقطعها من يجيء منها إلى عرفات. وذكر بعض من حدد عرفات من أصحابنا أن الحدّ الواحد منها ينتهي إلى جادة طريق المشرق وما يلي الطريق، والحد الثاني: ينتهي إلى حافات الجبل الذي وراء أرض عرفات، والحد الثالث: الى الحوائط التي تلي قرية عرفة، وهذه القرية على يسار مستقبل القبلة إذا صلى بعرفة، والحد الرابع: ينتهي إلى وادي عرنة الذي شرحنا عنه وليس من عرفات وادي عرنة، ولا نمرة، وهي في بطن عرنة، ولا المسجد الذي يجمع فيه الإمام الصلاتين، ويقال له مسجد ابراهيم ﷺ وليست عرفات من الحرم[٢].

---

(١) يعني ابن الصّلاح.

(٢) رحلة ابن رشيد ـ مخطوطة ـ وانظر مجلة « العرب » من ص ٤٤٢ الى ٤٥٨ ومن ص ٥٠٧ الى ٥٧١ ـ السنة الثالثة.

٤ – وقال الزركشي في « إعلام الساجد » : عرفات لها أربعة حدود ، واحدها ينتهي إلى جادة طريق السرف – ككتف – موضع قرب التنعيم . والثاني : إلى حافات الجبل الذي وراء أرض عرفات . والثالث: إلى البساتين التي تلي قرية عرفة ، وهذه القرية على يسار مستقبل الكعبة إذا وقف بأرض عرفة . والرابع : ينتهي إلى وادي عُرَنة – وليس من عرفات وادي عرنة، ولا نمِرة ، ولا المسجد الذي يصلي فيه الإمام المسمى بمسجد ابراهيم ، بل هذه المواضع خارج عرفات ، على طريقها الغربي مما يلي مزدلفة ومنى ومكة .

٥ – وأما المأزمان فهو شعب بين جبلين يفضي آخره إلى بطن عُرَنة وهو وادٍ بين المأزمين وعرفة ، وليس من عرفة ، وعرفة ما بين وادي عرنة إلى حائط بني عامر إلى ما أقبل على الصخرات التي يكون بها موقف الامام وإلى طريق حصن وحائط بني عامر نخيل عند عرفة ، وكذلك في غربي عرفة ،وعرفة بقرب المسجد الذي يجمع فيه الامام بين الصلاتين الظهر والعصر، وهو حائط نخيل ، وبه عين وينسب إلى عبدالله بن عامر بن كُرَيز [١] .

٦ – وقال ياقوت : المأزمان : موضع بين المشعر الحرام وعرفة ، وهـو شعب بين جبلين يفضي آخره إلى بطن عُرَنة ،وهو إلى ما أقبل على الصخرات[٢] التي يكون بها موقف الإمام ،إلى طريق يفضي إلى حِصْن وحوائط بني عامر، عند عرفة وبه المسجد الذي يجمع فيه الإمام بين الصلاتين الظهر والعصر ، وهو حائط نخيل ، وبه عين تنسب إلى عبدالله بن عامر بن كريز ، وليس عرفات من الحرم .

وقال : عرفة حدُّها من الجبل المشرف على بطن عرنة إلى جبال عرفة . وقرية عرفة موصل النخل بعد ذلك[٣] .

٧ – وقال مؤرخ مكة أبو الطيب الحسني الفاسي: عَرَفَة –بالفاء– موضع الوقوف هي خارج الحرم قريب منه وقد ذكر حدَّها ابنُ عباس لأنه قال : حدّ عرفة من الجبل المشرف على بطن عرفة إلى أجبال عرفة إلى وصيق إلى ملتقى وصيق ووادي عرنة أخرجه الأزرقي ، وقوله : وادي عرنة اختلف في

(١) « المسالك والممالك » للاصطخري – ص ٢٢ – طبعة مصر سنة ١٣٨١ . و « صورة الأرض » لابن حوقل – ص ٣٦ – بيروت .

(٢) في المطبوع (الصحراء) خطأ .

(٣) « معجم البلدان » .

ضبطه ففي بعض نسخ الأزرقي بالفاء وفي بعض بالنون وممن ضبطه بالنون ابن الصلاح واعترض عليه في ذلك المحب الطبري لأنه قال بعد أن ذكر ضبط ابن الصلاح قلت : وفيما ذكره نظر لأنه أراد تحديد عرفة أولاً وآخراً فجمله من الجبل المشرف على بطن عرنة بالنون فيكون آخره ملتقى وصيق وبطن عرفة بالفاء . ولا يصح أن يكون وادي عرنة بالنون لأن وادي عرنة لا ينعطف على عرفة بل هو ممتد مما يلي مكة يميناً وشمالاً فكان التقييد بوادي عرفة أصح والله أعلم . وهذا التحديد يدخل عرنة في عرفة انتهى ، وحد عرفة من جهة مكة قد صار معروفاً بما بنِيَ في موضعه من الأعلام ، وهي ثلاثة سقط منها واحد وبقي اثنان وفيها أحجار مكتوب في بعضها ان المظفر صاحب إربل أمر بإنشاء هذه الأعلام الثلاثة بين منتهى أرض عرفة ، ووادي عرنة لا يجوز لحاج بيت الله العظيم أن يجاوز هذه الأعلام قبل غروب الشمس ، وفيه مكتوب: بتاريخ شعبان سنة خمس وستمائة ، ورأيت مثل ذلك مكتوباً في حجر ملقى في أحد العلمين الباقيين ، وفي هذين العلمين مكتوب : أمر بعمارة علمي عرفات ــ وأضاف كاتب ذلك هذا الأمر للمستنصر العباسي ثم قال: وذلك في شهور سنة أربع وثلاثين وستمائة ، ومقتضى كون هذه الأعلام بين منتهى أرض عرفة ووادي عرنة لا يكون المسجد الذي يصلـّي الإمام بالناس فيه الظهر والعصر في يوم عرفة من عرفة ولا بعضه منها لان المسجد المذكور مروى [1] بالاعلام المشار إليها إلى جهة الحرم وبين ركن المسجد المشار إليه مما يلي عرفة إلى محاذاة العلمين الموجودين الآن ثمانماية ذراع وخمسة وثمانون ذراعاً باليد ، وذلك يشكل مع قول الشيخ أبي محمد الجويني وابنه إمام الحرمين والقاضي حسين الرافعي ان مقدم هذا المسجد من عرنة ــ بالنون ــ هو جزء من عرفة ــ بالفاء ــ فإن ما ذكر هؤلاء الأئمة يقتضي ان الاعلام المشار إليها ليست على منتهى حد عرفة وان حدها ينتهي إلى أثناء المسجد المشار إليه وذكر الشيخ أبو محمد الجويني أن ذلك متميّز بصخرات كبار فرشت في ذلك الموضع يعني من المسجد ، ولا أثر الآن لهذه الصخرات والله أعلم بالصواب ، وصرح النووي وابن الصلاح بأن هذا المسجد ليس من عرفة

---

(١) كذا ولعله : (من وراء الأعلام) .

بالفاء ، وتظهر ثمرة الخلاف في إجزاء الوقوف بهذا المسجد . وتوقف مالك في ذلك، ولأصحابه قولان فيه بالإجزاء وعدمه [١] .

طريق الحصن أو طريق سرف :

تكررت كلمة طريق الحصن وحصن وحضن — في العبارات المتقدمة ، وفي كلام الزركشي : جادة طريق السَّرِف وهذا يوضح الجهة . أما ضبط الكلمة فقد قال نصر بن عبد الرحمن الاسكندري في كتـــابه : « الأمكنة والمياه والجبال والآثار ونحوها ، المذكورة في الأخبار والأشعار » ما نصه : (الحِصْنُ — بكسر الحاء وبسكون الصاد المهملتين ، وآخره نون : ثنية مكة ،) بينها وبين دار يزيد بن منصور فضاء يقال له المَفْجِر [٢]. انتهى . وعن نصر نقل الحازمي وياقوت كلامه حرفياً . أما يزيد بن هارون هذا فهو الحِمْيري ، خال المهدي ، من مشاهير أمراء الدولة العباسية، فقد تولى البصرة للمنصور سنة ١٥٢ هـ. ثم تولى اليمن سنة ١٥٣ حتى اشتاق اليه خاله المهدي سنة ١٥٩ فولاه إمارة الحج ، ويظهر أنه اتخذ داراً بمكة، أو دارين إحداهما تعرف بدار العروس ، وردت في كلام الأزرقي في مواضع منها :

١ — شعب قعيقعان : هو ما بين دار يزيد بن منصور التي بالسويقة يقال لها دار العروس ، إلى دور ابن الزبير إلى الشعب الذي منتهاه في أصل الأحمر إلى فلق ابن الزبير الذي يسلك منه إلى الأبطح. والسويقة على فوهة قعيقعان.

٢ — جبل زرزور : الجبل المشرف على دار يزيد بن منصور الحمـــيري خال المهدي بالسويقة [٣] .

٣ — وقال عند ذكر أبواب الحرم في وصف باب قعيقعان — وكان بين باب القطبي وباب الزيادة إن لم يكن باب القطبي نفسه — : يقال له باب حجير ابن ابي اهاب وله داران أحدهما لاصقة بدار العروس .

٤ — حد المعلاة من الشق الأيسر من زقاق البقر الذي عند الطاحونة ودار عبد الصمد بن علي اللتان مقابل دار يزيد بنمنصور الحميري خال المهدي

---

(١) « شفاء الغرام » ص ٨٥ إلى ٨٧ (طبعة اوربة) .

(٢) الورقة الـ ٥٦ من مخطوطة المتحف البريطاني .

(٣) « أخبار مكة » ج٢ ـ ص ٢٢٩ / ٢٣٩ / ٧٤ / ٢١٥ .

يقال لها دار العروس ، مصعداً إلى قعيقعان .. وما حاز سيل قعيقعان إلى السويقة وقعيقعان مصعداً فذلك كله من المعلاة . انتهى كلام الازرقي .

ويظهر أن دار العروس ليست المقصودة بعبارة نصر الاسكندري ، وان المقصودة تقع في أسفل مكة، يمر بها الطريق الذي يدع مكة ذات اليمين حتى يصل إلى سَرف ، ماراً بالمفجر ، تاركاً مزدلفة وجبالها يميناً .

والمفجر: قال الأزرقي: ١- فاقتتلوا [جرهم وخزاعة] بمفضى مأزمي منى، فسمي ذلك المكان المفجر، لما فجر فيه وسفك من الدماء، وانتهك من حرمته.

٢- كانت طريق النبي ﷺ من حراء إلى ثور في شعب الرخم على الثنية التي تخرج على بئر خالد بن عبد الله القسري ، التي بين مأزمي منى - وهي الثنية التي على يسار الذاهب إلى منى من مكة، ثم سلك النبي ﷺ في الشعب الذي بنا ابن شيخان سقاية بفوهته ، ثم في الثنية التي تخرج على المفجر ...

٣- المفجر مــا بين الثنية التي يقال لها الخضراء إلى خلف دار يزيد بن منصور ، يهبط على حياض ابن هشام التي بمفضى المأزمين مأزمي منى إلى الفج الذي يلقاك على يمينك إذا أردت منى ، يفضي بك إلى بئر نافع بن علقمة ، وبيوته حتى تخرج على ثور ، وبالمفجر موضع يقال له بطحاء قريش ، كانت قريش في الجاهلية وأول الاسلام يتنزهون به، ويخرجون إليه بالغداة والعشي، وذلك الموضع بذنب المفجر في مؤخره، يصب فيه ما جاء من سيل الفدفدة .

٤- شعب حواء في طرف المفجر على يسارك وأنت ذاهب إلى المزدلفة من المفجر ، وفي ذلك الشعب البئر التي يقال لها كُبُر آدم .

أين يقع حائط ابن عامر ؟

يفهم من كثير من عبارات المتقدمين أنه بقرب عُرَنة ، غير أن عُرَنة كثيراً ما يصحف بـ (عرفة) وبالعكس . ويفهم من عباراتهــم أن عرفة - بالفاء - فيها قرية تقع في الجهة الغربية منها ، يدعها طريق المأزمين للقادم من منى على يساره، بعد مجاوزتها . وأرى أن حائط ابن عامر (أو حوائطه) تقع غرب قرية عَرَفة ، لا عُرَنة ، ويستأنس لهذا بما يلي :

١ - أن الحدّ الشرقي الجنوبي أوضحه الرسول ﷺ بقوله : « وارفعوا عن بطن عرنة » وإذن فالقول بأن حوائط ابن عامــر تقع غرب المسجد يخرجها من أن تكون حدّاً لعرفات ، إذ الجزء الغربي من المسجد ليس من عرفة فكيف بما يقع غربه أو جنوبه .

٢ – ورد في تحديد أبي الفداء [١] لعرفات ما نصه :

(عرفات ما بين عرنة وحائط بني عامر والمأزمين ، وليس وادي عرنة من عرفات ، وهو حدُّ عرفات مما يلي منى ، وبالقرب من حائط ابن عامر المسجد الذي يجمع فيه الأيام بين الظهر والعصر يوم عرفة ، وبعض المسجد المذكور واقع في عرنة وبعضه في عرفات . اهـ

وأرى كلمة (عرنة) الأولى صوابها عرفة ، لأنه أوضح ذلك بقوله : (وهو حدُّ عرفات مما يلي منى) ولا يتنافى هذا مع قوله : (وبالقرب من حائط ابن عامر المسجد) . فهو قريب من الحائط قُرْباً نسبياً .

٣ – وقال الأزرقي : (ثبير الأعرج مشرف على حق الطارقيين ، بين المغس [٢] والنخيل [٣]) وعلق الأستاذ رشدي ملحس – رحمه الله – قائلاً : (النخيل هي بساتين ابن عامر التي كانت في جهة عرنة ، وبقربها مسجد ابراهيم المسمى مسجد عرنة . انتهى وأراه تصحف عليه اسم (عرفة) بعرنة كغيره ، ذلك أن ثبيراً الأعرج لا يشرف على عُرَنة إلا إذا قصد شمال الوادي ، ولكنه قد يشرف على بساتين ابن عامر إذا كانت واقعة في الشمال الغربي من عرفة .

٤ – وقال الأزرقي : (ذو مراخ بين مزدلفة وأرض ابن عامر [٤]) . وهذا يدل على أنها في جهة مزدلفة .

٥ – قد يكون لابن عامر – الصحابي الجليل – حوائط متعددة في الشمال الغربي من عرفات بقرب قرية عرفات ، وفي الجنوب الغربي – أي عند اتصال وادي عرنة بوادي نعمان – وهو الحدّ الجنوبي لعرفات فالرجل كان كثير العمران ، مغرماً بإحياء الأرض ، وله آثار عظيمة في نجد وفي الحجاز وفي غيرهما من البلاد .

وعن جابر أن رسول الله ﷺ قال : وقفت ها هنا وعرفة كلها موقف ، وارفعوا عن بطن عُرَنة [٥]

---

(١) تقويم البلدان لأبي الفداء – ص ٧٨ –

(٢) في المطبوعة : (المغمس) وأراه تصحيفاً إذا الأزرقي ذكر ان المغس من طرف الليط إلى خيف الشبرق بعرنة (٥٠١ ص الطبعة الأوربية) .

(٣) « أخبار مكة » ٢ / ١٨٥ (طبعة مكة) .

(٤) « أخبار مكة » ٢ / ٢٣٦ (طبعة مكة) .

(٥) « البداية والنهاية » ١٧٤/٥ .

حدود المزدلفة :

١ ـ قال الازرقي : قال ابن جريج : قلت لعطاء : وأين مُزْدَلفة ؟ قال : المزدلفة إذا أفضْتَ من مأزمي عرفة فذلك إلى مُحَسِّر ، وليس المأزمان مأزما عرفة من المزدلفة ولكن مفضاهما. قال : قِفْ بأيّهما شئت ، وأحب إليّ أن تقف دون قزَح هَلُمَّ إلينا . قال عطاء : فإذا أفضت من مأزمي عرفة فانزل في كل ذلك عن يمين وشمال . قلت له : أنزل في الجرف إلى الجبل الذي يأتي عن يميني حين أفضي إذا أقبلت من المأزمين ؟ قال : نعم ، إن شئت . وأحبّ إليّ أن تنزل دون قزح هَلُمَّ إليّ ، وحذوه. قلت لعطاء : فأحبُّ إليك أن أنزل على قارعة الطريق ؟ قال : سواء إذا انخفضت عن قزح هلُمَّ إلينا . وهو يكره أن ينزل الناس على الطريق، قال : يضيّق على الناس ، فإن نزلت فوق قُزَح إلى مفضَى مأزمَيْ عرفة فلا بأس ـ إن شاء الله ـ ! قلت لعطاء : أرأيت قولك : انزل أسفل قزح أحب إليك من أجل أيّ شيء تقول ذلك ؟ قال : من أجل طريق الناس ، إنما ينزل الناس فوقه فيضيقون على الناس طريقهم ، فيؤذي ذلك المسلمين في طريقهم . قلت: هل لك إلا ذلك ؟! قال : لا . قلت : أرأيت إن اعتزلت منازل الناس ، وذهبت في الجرف الذي عن يمين المقبل من عرفة ، ولستُ قُرْبَ أحدٍ . قال : لا أكره ذلك ! قلت : أذلك أحبُّ إليك أم أنزل أسفل من قُزَح في الناس ؟ قال : سواء ذلك كله ، إذا اعتزلت ما يؤذي الناس من التضييق عليهم في طريقهم. قلت لعطاء : إنما ظننت أنك تقول : نزل رسول الله ﷺ أسفل من قزح ، فأنا أحب أن أنزل أسفل منه ؟! قال : لا ، والله ما بي ذلك ، ما لشيء منها أثرة على غيره . قلت لعطاء : أين تنزل أنت ؟ قال : عند بيوت ابن الزبير الأولى ، عند حائط المزدلفة ، في بطحاء هناك . قال ابن جُريج : أخبرني عطاء عن ابن عباس كان يقول : ارفعوا عن مُحَسِّر ، وارتفعوا عن عُرَنات. قلت: ماذا؟ قال: أما قوله : ارتفعوا عن عرنات فعشيّة عرفة في الموقف ـ أي لا تقفوا بعرنة ـ وأما قوله : ارفعوا عن مُحَسِّر . ففي المنزل بِجَمْعٍ ـ أي لا تنزلوا محسّراً ، لا تبلغوه . قلت لعطاء : وأين مُحَسِّر ؟ وأين يبلغ من جَمْع ؟ وأين يبلغ الناس من منزلهم من محسر ؟

قال : لم أرَ الناس يخلّفون بمنازلهم القرن الذي يلي حائط محسّر الذي هو أقرب قرن في الأرض من محسر على يمين الذاهب الذي يأتي من مكة عن يمين الطريق . قال : ومحسّر إلى ذلك القرن ، يبلغه محسّر وينقطع إليه . قال : فأحسب أنها كُدْية محسّر حتى ذلك القرن . قال : فلا أُحِبُّ أن ينزل أحدٌ أسفل من ذلك القرن ، تلك الليلة[1] .

٢ — وفي كتاب « المناسك » : أول حد المزدلفة انقطاع محسر ، حيال القرن الذي وصَفْتُ لك،وآخرها انقضاء المأزمين،وليس المأزمان ومفضاهما قبل ان تدخلها وأنت ذاهب إلى عرفات . وإذا كنت جائياً من عرفات إلى منى فأنت تصير بين جبلين ، وهما المأزان ، في ضيق ، قال كثير :

وقد حلفت جهداً بما نحرت له قريش غداة المأزمين وصلت

فإذا جاوزت المأزمين حتى تخرج منهما إلى الفضاء فذلك الفضاء أول المزدلفة وأنت جاي من عرفات إلى حيال القرن الذي وصفت لك وهو الآن وأنت مقبل من عرفات عن يسارك . عن ابن جريج قلت لعطاء : أين محسر ؟ وأين يبلغ من جمع ؟ وأين يبلغ الناس بمنازلهم من محسر ؟ — يعني مبيتهم بجمع المزدلفة فقال عطاء . لم أرهم يخلفون بمنازلهم القرن ، يعني لا يتجاوزن قال عطاء : هو أقرب قرب في الأرض من محسر عن يمين الذاهب من مكة عن يمين الطريق . قال : ومحسر إلى ذلك القرن يبلغه [محسر] وينقطع اليه .

قال عطاء : لا أحب أن ينزل أحد أسفل من ذلك القرن تلك الليلة ، يعني ليلة جمع . قال ابن جريج : قلت لعطاء: وأين المزدلفة؟قال: إذا أفضت من مأزمي عرفة كذلك إلى محسر . قال : وليس المأزمان مأزما عرفة من المزدلفة ولكن مفضاهما. قال : قف بأيهما ما شئت يعني بأيهما عند المفضى ، أو دون هذا االقرن . قال : وأحب إلي أن يقف دون قزح هَلُمَّ الينا — يعني بقزح موضع لمارة التي عليها السرج — يقول : تكون أمامها إلى مكة ، وتجعلها خلفك.

(البقية في الجزء الآتي)

(١) « أخبار مكة » ج ٢ - ١٥٥ و ١٥٦ (ط : مكة) و ٤١٧ ط : اوربة .